تعقيب : بقلم إلكس هيلي

THE AUTOBIOGRAPHY OF
MALCOLM X

في غضون عام تسع وخمسين وتسعمائة وألف عندما بدأ الجمهور يعرف شيئا عن المسلمين السود بعد إذاعة برنامج نيويورك التلفازي « البغض الذي أولده البغض » كنت في سانفرانسيسكو وعلى وشك التقاعد من حرس السواحل الأمريكي بعد عشرين عاماً من الخدمة. قفل في ذلك الوقت صديق لي عائداً من ديترويت وهو يتحدث عن ديانة مذهلة للرجل الأسود وعن أمة الإسلام التي انضم إليها لدهشته جميع أفراد عائلته. أصغيت غير مصدق لكيف أن « عالم مجنون يدعى مستر يعقوب » هجن وراثيًّا الجنس الأبيض من قوم سود أصليين. زعيم تلك المنظمة وُصف لي « بصاحب الشرف إلايْجا محمد » ورئيس الأركان فيما يبدو يدعى « منستر مالكوم إكس» .

عندما عدت إلى الحياة المدنية ودخلت دنيا الكتابة في مدينة نيويورك جمعت من حول هارلم مادة مثيرة وتقدمت باقتراح إلى مجلة ريدرز دايجست للكتابة عن تلك الطائفة. وأنا أزور المطعم الإسلامي في هارلم استفسرت عن كيف يمكن لي مقابلة منيستر مالكوم إكس فأشاروا لى إليه وهو يتحدث داخل كشك الهاتف من خلفي مباشرة. بعد فترة وجيزة خرج من الكشك ، شخص طويل مهاب، برونزي البشرة وعمره حينها خمسة وثلاثون عاما. عندما أوضحت له غرضي تصلب وعيناه تتفحصني من خلف

نظاراته السميكة. اتهمني بحدة قائلا: « إنك واحد من أدوات الرجل الأبيض أرسلك لتتجسس علينا » أجبته بأن لي مهمة أدبية مشروعة وأريته خطاباً من المجلة يوضح أن المطلوب هو مقال موضوعي يزن ما يقوله المسلمون عن أنفسهم مقابل ما يقوله عنهم منتقدوهم. قال مالكوم إكس ساخراً « وعد أي رجل أبيض لا يساوى الورق الذي كتب عليه » ثم أضاف أنه سيحتاج لبعض الوقت ليقرر إن كان سيتعاون معي أم لا. واقترح على أنه بإمكاني في أثناء ذلك أن أحضر بعض اجتماعات المعبد رقم سبعة (أعيدت تسمية المعابد إلى مساجد بحد ذلك) الذي كان مفتوحا أمام غير المسلمين.

حول المطعم قابلت بعض المنضوين الجدد وكلهم أنيقون ونظيفو الملبس وتهذيبهم يخجل التواضع. سلوكهم وسيماهم يعكسان الانضباط الإسبرطي الذي تتطلبه منهم المنظمة ولا ينبس الواحد منهم إلا بكلمات أمة الإسلام. حتى الطقس الجميل كانوا ينظرون إليه كنعمة من الله ويرجعون الفضل الثانوى « لصاحب الشرف الإيْجا محمد ».

وأخيرا أعلمني منيستر مالكوم إكس أنه شخصيا لن يتحمل المسئولية واقترح عليَّ أن أتصل بمستر محمد نفسه لمناقشة موضوع المقال . لم أمانع في ذلك فحددوا لي معه موعدًا وطرت إلى شيكاجو . دعاني مستر محمد ، الرجل دقيق الجسم الخجول ذو الصوت الهادئ، إلى أن أتناول العشاء معه وعائلته في منزله:أصغيت له باهتمام مدركاً أنهم سيتفحصونني بدقة ، وهو يتحدث أساساً عن الرقابة الدقيقة التي تفرضها ال إف. بي. آي. (المباحث الفدرالية) ومصلحة الضرائب على منظمتهم وعن إشاعة تحقيق الكونجرس المرتقب عنها ، « لكنى لا أخاف من أي منهما ، أن عندي كل ما أحتاج إليه– الحق » كان ذلك تعليقه . لم يثر موضوع كتابتي للمقال إطلاقا لكن مالكوم إكس أظهر أنه متعاون تماما حينما عدت إلى نيويورك .

كان يجلس معى عند طاولة بيضاء في مطعم المسلمين ويرد بحذر على أي سؤال أثيره بينما المحادثات الهاتفية في الكشك من صحف نيويورك تقاطعنا بين الفينة والأخرى . عندما سألته إن كان بإمكاني أن أشاهد نشاطات المسلمين في المدن الأخرى نظم لي حضور اجتماعات مع أكثر من منستر في معابد ديترويت وواشنطن وفيلادلفيا.

ظهر مقالي وعنوانه « مستر محمد يتكلم » في أوائل عام ١٩٦٠ وكان حينها أول مقال طويل يعلن في مجلة عن تلك الظاهرة . وصلني بسرعة خطاب من مستر محمد يبدى فيه تقديره لموضوعية المقال وحفظي لوعدي كما اتصل بي مالكوم إكس هاتفيًا بتعليق مماثل . في مثل هذا الوقت نشر كتاب دكتور سي . إريك

لنكون « المسلمين السود في أمريكا » وأصبح المسلمون السود مثار اهتمام متزايد . خلال عامي ١٩٦١ و ١٩٦٢ جمعتني مجلة ساتردى إيفننج بوست في فريق مع كاتب أبيض يدعى آل باك لكتابة مقال . بعد ذلك أجريت تحقيقا مطولا لباب شخصية الشهر وعدت فيه مجلة بلاي بوي ، أن تنشر حرفيًا أي إجابة يقدمها مالكوم لأسئلتي خلال تلك المقابلة التي استغرقت عدة أيام ، كان مالكوم إكس يكرر بصوت عال بعد تعليقات متصلبة ضد البيض وضد المسيحية : « أنت تعلم أن الشرير لن ينشر ذلك. » ودهش بشدة حينما أوفت مجلة بلاي بوي بوعدها.

بدأ مالكوم بعدها يثق بي نوعاً ما فقد كان عارفاً بقوة نفوذ المجلات القومية وأصبح ينظر إليَّ نظرة لا تخلو من شك كأحد الوسائل للوصول إلى صفحاتها. بدأ بين الحين والآخر يتصل بي ليخبرني عن حديث له مرتقب في المذياع أو التلفاز أو عن موعد محاضرة عامة سيلقيها أو ليدعوني إلى سوق خيري أو مناسبة ما يقيمها المسلمون السود.

كنت في تلك المرحلة من علاقتي بمالكوم إكس الذي كثيراً ما وصف نفسه بأنه « أكثر السود غضبا في أمريكا » ، عندما جمعني وكيلي بناشر أوحت له مقابلة مجلة بلاي بوي بفكرة نشر سيرة مالكوم إكس الذاتية في كتاب . سألني إن كنت أستطيع أن أقنع الزعيم النارى الذي أصبح شخصية قومية معروفة بالموافقة على رواية أدق خصائص حياته . قلت لا أدرى ولكنني سأحاول وأسأله . سألني المحرر الذي عين لذلك الكتاب أن أخطط هيكلا للأشياء الرئيسة التي سيشملها الكتاب وعندما بدأت في ذلك أدركت قلة معرفتي بالرجل شخصياً بالرغم من المقابلات التي أجريتها معه . أفدتهم بأن ذلك الطلب جعلني أدرك الدرجة التي كان مالكوم بها يقلل من قدر نفسه ويعظم من أهمية زعيمه إلايْجا محمد .

قلت لهم : إن كل ما أعرفه حقيقة هو ما أشار إليه مالكوم عرضاً عن حياة الإجرام والسجن التي كان يعيشها قبل أن يصبح مسلماً أسود وأنه ذكر لي عدة مرات « لن تصدق ماضيي» ، كما سمعت آخرين في أحدى المرات يذكرون أنه باع المخدرات والنساء وارتكب جرائم النهب المسلح .

كنت أدرك اهتمام مالكوم بالوقت لدرجة التعصب وكان ذكر لي مرة « لا صبر عندى مع من لا يرتدى ساعة لأن ذلك النوع لا يعرف قيمة الوقت ، في كل أفعالنا يحدد احترامنا للوقت الفرق بين الفشل والنجاح » كما أنني أعلم بما قالوه من أن عضوية المسلمين السود تزيد كلما ألقى مالكوم إكس محاضرة وأشعر بافتخاره لكون السجناء السود كانوا يكتشفون ديانة الإسلام مثله عندما كان سجينا. أعرف أيضاً أنه يعلن أنه لا يأكل إلا ما يطهوه المسلمون (وزوجته على

الأفضل) وأنه يشرب كثيراً من القهوة التي يحبها بالحليب معلقا بسخرية: « القهوة هي الشيء الوحيد الذي أفضله مختلطًا » كلمت المحرر ووكيلي ونحن نتناول طعام الغذاء عن كيف أن مالكوم إكس يروع غير المسلمين وحكيت لهم على سبيل المثال ما قاله لي عندما عرض توصيلي في عربته وأشعلت سيكارة بداخلها: «ذلك يجعلك أول شخص يدخن داخل هذه السيارة ».

نظر إليَّ مالكوم باندهاش عندما سألته إن كان على استعداد لأن يروى لي قصة حياته لكي تنشر في كتاب . كانت تلك من المرات القليلة التي بدأ عليه فيها عدم التأكد وأخيراً رد عليَّ: « يجب علىَّ أن أفكر في هذا الموضوع بروية » بعد يومين من ذلك اتصل هاتفيا لأقابله مرة ثانية في مطعم المسلمين السود وعندها قال : « موافق . أعتقد أن قصة حياتي ستساعد الكثيرين ليقدروا كيف ينقذ مستر محمد حياة السود . إلا أني لا أريد أن يساء تفسير دوافعي في ذلك - وأمة الإسلام يجب أن تتحصل على كل فلس يربحه ذلك الكتاب » طبعا موافقة مستر محمد ضرورية وعليَّ أن أسأله بنفسى .

ومن ثم طرت لمقابلة مستر محمد مرة ثانية ولكنها هذه المرة في مدينة فينكس بولاية أريزونا حيث ابتاعت له أمة الإسلام منزلا في طقسها الحار الجاف ليلطف من أزمته الصدرية . تحدثنا على انفراد هذه المرة وأخبرني كيف أن منظمته حققت ما حققت بالرغم من أن أغلب أعضائها غير متعلمين وأنها بالإمكان أن تقفز قفزات هائلة لو ساعدها بعض ذوي المواهب الموجودين بين السود . قال ذلك ثم أضاف ، «وأكثر ما نحتاجه هو الكتاب » لكنه لم يُلح علىَّ بالانضمام لهم . فجأة بدأ يسعل بشدة وبدأت حالته تسوء إلى أن قمت من مقعدي نحوه بانزعاج ولكنه أشار إليَّ أن أبتعد وقال لي وهو يلهث أنه سيكون على ما يرام . بين اللهثان ذكر لي أنه يشعر بأن الله يبارك الكتاب وأضاف: « مالكوم من أحسن المنستزز عندي. » وبعد أن أمر سائق عربته أن يحملني إلى مطار فينكس ودعني بسرعة وأسرع خطاه نحو غرفته وهو يسعل .

عدت إلى نيويورك وقدمت عقد النشر مكتوبا فقرأه مالكوم بدقة ثم أخرج من حافظة نقوده قطعة من الورق عليا كتابات من خط يده تقول: « أهدي هذا الكتاب لصاحب الشرف إلايْجا محمد الذي وجدني في قذارة مستقعات أحط حضارة ومجتمع على وجه الأرض وانتشلني منها وغسلني وأوقفني على قدمي وجعل مني الرجل الذي أنا هو اليوم ».

يشترط العقد أن يدفع الوكيل إى أرباح يستحقها مالكوم إكس من الكتاب لمسجد محمد رقم اثنين لكنه شعر أن هذا غير كاف فأملى عليَّ خطابا لأطبعه

حتى يوقع هو عليه ففعلت : « أي وكل أموال تمثل نصيبي المتفق عليه يجب أن تدفع بواسطة الوكيل الأدبي لمسجد محمد رقم اثنين . ترسل هذه الأموال بالبريد على العنوان التالي: مستر رايموند شريف ، ٤٨٤٧ شارع وودلون ، شيكاجو ١٥ ، الينوي » .

أملى مالكوم عليَّ خطابًا آخرا عبارة عن اتفاق بيني وبينه يقول: « ينبغي ألا تظهر في مخطوطة هذا الكتاب إي عبارة لم أقلها وألا يحذف أي شيء أرغب تضمينه في الكتاب » في المقابل طلبت منه أن يوقع على تعهد شخصي أنه سيعطيني أسبقية حصة محددة من وقته لإكمال المائة ألف كلمة التي ستظهر «كما رواها لـ ... » في كتاب يحكى تفاصيل قصة حياته كاملة. بعد شهور من ذلك وفي وقت عصيب في علاقتنا طلبت إذنه ووافق على أن أكتب أنا تعليقاً في نهاية الكتاب لا يخضع لمراجعته .

بعد ذلك مباشر بدأ مالكوم يزورني بانتظام ويقضى ساعتين أو ثلاث ساعات معي بعد أن يترك عربته الأولدزموبيل الزرقاء خارج الأستديو الذي كنت أعمل بداخله في جرينوتش فيلدج في مدينة نيويورك . كان دائما يحضر حوالي التاسعة أو العاشرة مساءً حاملاً حقيبة من الجلد البني المسطح التي ، مع هيئته الأكاديمية ، كانت تعطيه شبهاً بالمحامي المثابر . طبعاً كان يشعر بالتعب بعد يوم طويل مزدحم وأحياناً كان إرهاقه بادياً .

بدأنا بداية فقيرة وكلانا « جافل » نوعًا ما ، طبقاً للتعبير الذي يفضله مالكوم . ها هنا يجلس ويحدق أمامي الناري مالكوم إكس الذي يستطيع أن يكون سما زعافاً في وجه الزنوج الذين يثيرون غضبه تماما مثلما يكون مع البيض عموما . سمعته في التلفاز وفي المؤتمرات الصحفية يهاجم بعض الكتاب الزنوج بمرارة وينعتهم « بالعم توم » و « زنوج الساحة »و « سود في ثياب البيض» وأنا هنا جالس أحدق فيه واقترح عليه أن نقضي سنة نبحث في خبايا حياته وأسراره وهو الذي تعلم أن يكون حريصا على الكتمان أثناء حياته الإجرامية وسنواته في منظمة المسلمين السود. سنواتي العشرون في البحرية وعقيدتي المسيحية لم تسعفاني إذ أنه كثيراً ما كان يسخر من انتظام السود في هذه المؤسسات وبالرغم من أنه كان يحثني بطريقة غير مباشرة أن اكتب عن المسلمين في المجلات القومية، إلا أنه ذكر لي أكثر من مرة وبطرق مختلفة : « أنتم أيها السود أصحاب الكفاءات المهنية المختلفة ستصحون يوما وتجدون أن عليكم الاتحاد وراء قيادة صاحب الشرف الإليْجا محمد لخلاص أرواحكم. » كان مالكوم مقتنعا أن مكتب المباحث الفدرالية وضع جهازا لاسترقاق السمع في الأستديو الذي اعمل فيه وربما بتعاون منى . في الأسابيع الأولى كان

لا يدخل الغرفة إلا وهو ينادى : « واحد... اثنان... ثلاثة... هذا اختبار... » .

وقعت بعض الحوادث المربكة أثناء زياراته لي وفي إحدى هذه الزيارات كان معى صديق حينما وصل مالكوم إكس قبل ميعاده وتقابلا في الممر. كان سلوك مالكوم خلال تلك الليلة يوحي بأن أسوأ مخاوفه قد تأكدت له. في مرة أخرى وبينما كان مالكوم يتحدث بحماس عن عظمة منظمة المسلمين السود وهو يلوح بجواز سفره، ضبطني وأنا أحاول أن أقرأ رقم الجواز المخروم عليه فرمى بالجواز أمامي فجأة وأحمرت عنقه - من جريان الدم: « تفضل خذ الرقم بتمهل لكن ذلك لن يكون شيئا جديدا للشيطان لأنه أصدر هذا الجواز ».

لمدة شهر بعد ذلك كنت خائفا إننا لن ننتج أي كتاب فمالكوم كان مازال يناديني «أيها السيد» بطريقة رسمية جافة ودفتر مذكراتي ليس به أي شيء سوى فلسفة المسلمين السود والثناء على مستر محمد «وشرور الشيطان الأبيض.» كان مالكوم يتصلب حينما أحاول تذكيره أن الكتاب المقترح هو عن حياته. بدأت أفكر في الاتصال بالناشر لأفيده بعجزي عن السير في موضوع الكتاب عندما ظهرت أول بارقة أمل. بدأت ألاحظ أن مالكوم وهو يتكلم كان يخربش بقلم أحمر جاف على أي ورقة يجدها أمامه، أحيانًا كان يخط على هامش صحيفة أحضرها معه وأحيانا على كروت بيضاء يضعها خلف مفكرته الحمراء. بدأت أترك اثنين من مناديل الورق الابيض بجانبه في كل مرة اقدم له فيها القهوة وبدأت الحيلة تثمر فقد كان يترك كلمات هنا وهناك على المناديل التي كنت اجمعها بعد أن يخرج. وهاكم بعض الأمثلة.

« هنا يرقد ر.ص.، قتله ر. س.، يحارب من أجل ر. ب. الذي قتل ر. ح. » (فك هذه الرموز لم يكن صعبا لمن يعرف مالكوم إكس ر. ص. تعني الرجل الأصفر، ر. س. تعنى الرجل الأسود ، ر. ب. تعني الرجل الأبيض و ر. ح. تعني الرجل الأحمر ».

« لا شيء يحدث بدون سبب. ر. ب. لا يواجه سبب مشكلة ر. س. لأن هاجس ر.ب. هو إخفاء ذنبه».

« لو وقفت المسيحية في وجه هتلر في المانيا، لعاش ستة ملايين يهودي ».

« ر. ب. دائما يقول ل ر. س. (انظر ما فعلته لأجلك!) لا ! (انظر ما فعلته بنا) ».

« ر. س. يتعامل مع ر. ب. الذي عمى أعيننا ويأتي الآن يلومنا لأننا لا نستطيع أن نرى ».

« الرجال الوحيدون الذين غيروا التاريخ غيروا نظرة البشر لأنفسهم. هتلر ويسوع، ستالين وبوذا ... صاحب الشرف إلايْجا محمد... »

بواسطة واحدة من هذه الخربشات المتفرقة رميت أخيرا طعمًا لمالكوم فتلقفه.

أحد الجمل التي خطها كانت: « المرأة التي تبكي طول الوقت تفعل ذلك فقط لأنها تعلم أنها بذلك ستحصل على ما تريد. » بطريقة ما أثرت موضوع النساء معه. فجأة وما بين رشفات القهوة والخربشة على منديل الورق نفث عن انتقاده وشكوكه في النساء. « لن تستطيع أبداً الثقة الكاملة بالنساء والتي معي هي المرأة الوحيدة التي أثق بها خمساً وسبعين بالمائة ولقد قلت لها ذلك. أخبرتها مثل ما أقول لك الآن انني رأيت رجالا كثيرين حطمتهم زوجاتهم أو نساؤهم» .

« إنني لا أثق كلية بأي شخص » استمر مالكم مواصلا ثم أردف : « بما في ذلك نفسي. لقد رأيت رجالا كثيرين يحطمون أنفسهم ، وثقتي في الناس تتراوح ما بين من لا أثق فيهم إطلاقا إلى من أثق فيه بدرجة عالية مثل صاحب الشرف إلايْجا محمد » نظر إلي مالكوم بجدية وأكمل : « أما أنت فإني أثق بك خمساً وعشرين بالمائة » .

في محاولة لجعله يواصل الكلام استغللت موضوع المرأة إلى النهاية . هتف مزهوا وقال : « أتدري لماذا تحول بنديكت ارنولد إلى خائن – بسبب امرأة . مهما كانت المرأة ولا يهمني من هي ، فالقصة تبدأ بالغرور وسأبرهن لك ذلك بشيء تستطيع أن تفعله وقتما تشاء وأنا أعرف ما أتحدث عنه فقد جربته . فكر في أكثر امرأة صعبة و متشددة تعرفها ، واحدة من هؤلاء اللائي لا يبتسمن أبدًا . في كل يوم تراها انظر إليها في عينها وقل لها (أرى أنك جميلة) ولاحظ ما سيحدث . ستلعنك وتسبك في أول يوم وربما في اليوم الثاني أيضا واستمر في ذلك وبعد مدة سيأتي يوم تبتسم فيه بمجرد رؤيتك في طرف الشارع ».

عندما غادرني تلك الليلة جمعت مناديل الورق فأثبتت لي الكلمات التي عليها كيف أن مالكوم قد يكون يتحدث في شيء ويفكر في شيء آخر : « للزنوج استقامة أكثر من اللازم . ر . ب . يقول:(إنني أريد هذه الأرض . كيف لي أن أخرج منها الألفى ر . س) ».

« لي زوجة تفهمني وحتى إذا لم تكن تفهم فهي على الأقل تتصنع ذلك» .

« نضال ر. س. لن يجد الدعم الخارجي المفتوح الذي يحتاجه إلا عندما يوحد جبهته الداخلية ».

« أجلس ، أتحدث إلى أصحاب العقول الذين أحترمهم. كلنا يبغي نفس الشيء. أشحذ الأذهان».

« سيصدمون إذا كشفت أسماء ر . س . الذين اجتمعوا معهم في السر» (معهم ترجع إلى إلايْجا محمد) .

ثم حدث ذات ليلة أن وصل مالكوم وهو يجرجر رجليه من الإعياء وبدأ يجوب الغرفة جيئة وذهاباً وهو يلقي خطبة ضد قادة الزنوج الذين كانوا يهاجمون مستر محمد وينتقدونه. لا أدري ما الذي أوحى لي في إحدى وقفاته ليلتقط أنفاسه أن أسأله: « هل لك في أن تحكي لنا شيئا عن أمك؟ ».

توقف فجأة ونظرته إلي جعلتني أحدس بأن سؤالي العشوائي أصاب منه مقتلا وحينما أسترجع الأمر الآن أعتقد أنني لا بد قد فاجأته وهو في حالة من الإعياء ضعفت معها دفاعاته . بدأ مالكوم يتكلم ببطء وهو يمشي في دائرة ضيقة . «كانت دائما واقفة أمام الموقد تحاول أن تعد ما عندنا للأكل . كنا نكاد يغمى علينا من الجوع . وما زلت أذكر لون الرداء الذي كانت ترتديه ، كان رماديا باهتا . . . » استمر يتحدث حتى الفجر في تلك الليلة وقدماه الكبيرتان تكادان تصطدمان ببعضهما من المشي حول الغرفة . من ينبوع الذكريات اليقظ هذا ، أخيرًا استخرجت الأساس لأول فصلين في هذا الكتاب ، « الكابوس » و « جالب السعد » . منذ تلك الليلة لم يتردد خلال العامين التاليين في رواية أدق تفاصيل حياته الشخصية لي ويبدو أن حديثه عن أمه فجر شيئا ما في داخله .

مزاج مالكوم إكس كان يتفاوت ما بين كئيب إلى متجهم وهو يتذكر أيام طفولته . ما زلت اذكر تأكيده على نقطة معينة توضح كيف وعى لحقيقة مهمة في الحياة اثرت عليه منذ ذلك الزمن : « المفصلة التي لها صرير هي التي تحصل على الزيت. » عندما وصل في سردها لانتقاله إلى بوسطن ليقيم عند أخته غير الشقيقة ، اللا ، بدأ مالكوم يضحك على جهله في شوارع الجيتو حينها . « لِمَ ؟ ! أنني احكي لك أشياء لم أفكر فيها منذ أن انقضت » وعندما بدأ يحكي عن أيامه الأولى في هارلم ، أطلق العنان لشعوره . ذات ليلة فجاة وبجنون قفز من كرسيه وبدأ الديماجوجي الأسود المهاب يدندن ببعض الأغاني ويفرقع أصابعه ، « رى – بوب – دى - بوب -بلاب - بلام - » وأنا لا أصدق ، ثم أمسك ماسورة مستقيمة بيديه (كشريكة في الرقص) وبدأ يرقص اللندى في نشوة ومؤخرة سترته وساقاه الطويلتان وقدماه الكبيرتان يطيرون كما فعلوا في أيام هارلم تلك . ثم انتبه إلى نفسه فجأة وجلس في حالة نكد حتى نهاية تلك الجلسة . بعد ذلك بمدة حلت به حالة الكآبة وهو يحكي عن هارلم . « خطأي الوحيد في رأيي هو أنهم قبضوا عليَّ وأنا أرتكب خطأ. لقد كنت أعيش في غابة وبعقل الغابة وأي شيء فعلته كان بغريزة البقاء » ، ولكنه أكد أنه ليس بنادم على جرائمه ، « لأنها ليست إلا حصيلة ما يحدث لألوف فوق ألوف من الرجال السود في عالم الرجل المسيحي الأبيض » .

عادت إليه النشوة وهو يحكي عن أيامه في السجن « دعني أحكي لك كيف كنت أجعل هؤلاء الأشرار البيض ، سجناء وسجانين ، يفعلون أي شيء أطلبه . كنت أهمس في أذن الواحد منهم (إذا لم تفعل ما أطلب فسأبدأ نشر إشاعة أنك زنجي فاتح اللون يظنه الناس أبيض) . ذلك يريك نظرة الشيطان الأبيض إلى الرجل الأسود . إنه يفضل الموت على أن يقال عنه إنه زنجي. » كلمني أيضا عن قراءاته في السجن . « لم أعرف كنه ما أفعل لكنني وجدت نفسي أميل إلى الكتابات التي بها فيتامينات ذهنية » وفي مرة أخرى : « في عالم اليوم القلق ليس هنالك وقت للتعمق في الأمور أو التفكير الملي . أما السجين فعنده الوقت الذي يمكنه أن يحسن استخدامه . السجن يأتي بعد الجامعة في نظري كأحسن مكان يذهب إليه الإنسان ليقوم ببعض التفكير إذا كان لديه الحافز فقد يغير من حياته » .

في مرة أخرى بعد ، فكر مالكوم : « إذا دخل الرجل السجن مرة فستتغير نظرته نحو نفسه ونحو الناس . البسطاء خارج السجن الذين تسير سفينتهم فوق مياه هادئة دائما يشمئزون من السجين سابقا لكن ذلك السجين سيرفع رأسه عاليًا بينما تغرق سفينة البسطاء. »

في تلك الليلة خربش (كنت أؤرخ مفكرتي ومناديل الورق) ما يأتي : « هذا ال ر. ب . صنع وألقى القنبلة الذرية على غير البيض ، ر . ب . حاليًا يسمي البعض « حمر» ويعيش في خوف من ر . ب . آخر يعلم أنه قد يلقي عليه قنبلة » .

أيضا : « تعلم الحكمة من إنسان العين الذي يرى كل شيء ولكنه أعمى من رؤية نفسه . شاعر فارسي ».

في فترات التوقف كان مالكوم يضع نبرة ويؤكد لي : « لا أريد الآن لهذا الكتاب أن يظهر وكأنني أظن أنني شخص مهم » . فكنت أقول له: إنني سأجتهد ألا يحدث ذلك وأنه على أية حال سيراجع المخطوطة صفحة صفحة ثم بعد ذلك يراجع بروفة المطبعة . في مرات أخرى كان ينهى هجوما على الرجل الأبيض ليتوقف ويعلن بقوة : « ذلك الشيطان لن يطبع هذا مهما قال ! » فكنت أذكره بأن الناشر ملزم بعقد مكتوب وأنه دفع مبلغًا كبيرًا نظير ذلك مقدما . كان يرد علي ، « أنت تثق بهم أما أنا فلا . لقد درست ما أراد لك أن تعرفه عنه في المدرسة وأنا درسته في الشوارع والسجون حيث لا تُحجب الحقيقة ».

التجارب التي يمر بها مالكوم أثناء اليوم كانت تعطي نكهة لمزاجه أثنا الجلسة والقصص اللطيفة الطريفة كانت تسرد في الأيام التي تكون فيها حادثة م قد مست شعوره . ذات مرة على سبيل المثال أخبرني أنه علم أن رجلا من هارل

وزوجته ، ولم يكونا من المسلمين السود ، قد أسميا طفلهما الوليد « مالكوم » تيمنا به . كان يهتف قائلا :« ماذا تعرف عن ذلك ! » تلك كانت الليلة التي رجع فيها بعقله إلى أيام طفولته مرة أخرى واسترجع كيف كان يستلقي على ظهره في تل هكتور ويفكر . وفي تلك الليلة أيضا تذكر : « لن أنسى أبدًا اليوم الذي انتخبوني فيه عريفا للصف . رشحتني صبية تدعى اودرى سلاو كان أبوها يملك محلا لإصلاح العربات واثنى على ترشيحي صبي يدعى جيمس قطن . طلب مني المدرس أن أغادر الغرفة بينما بقية الصف تقترع وعندما عدت أصبحت عريف الفصل - لم أصدق ذلك ».

أي كتاب مثير ممتع يقرأه مالكوم كان يجعله يسرف في الحديث عن ولعه بالكتب « الناس لا تعرف المدى الذي يمكن أن يغير به كتاب حياة إنسان . » كان يعود مرارًا وتكرارًا لموضوع الكتب التي قرأها في السجن ، سألني مرة « هل قرأت أبداً نسيج اللغة؟» فقلت لا لم أقرأه . « ينبغي أن تقرأه . الفيلولوجيا ، علم اللغات علم صعب وهو التعرف على الكلمات حيثما وجدت . خذ كلمة سيزر (قيصر) مثلاً فهي لاتينية وتنطق كيسر ولكننا ننطقها بالسين في الإنجليزية. أما الروس فيقولون :(ظار) وهي تعني نفس الشيء وفي رواية أخرى (تظار). جاكوب جريم كان من ألمع علماء اللغات وقد درست نظريته في السجن وكلها عن الحروف الساكنة . الفيلولوجيا ذات صلة بعلم الأتيمولوجيا التي تعنى بجذور الكلمات وتاريخها ».

عندما أرجع إلى تلك الصفحة في مذكرتي أجد أن الصفحة التالية بها مذكرة تقول: اتصل بي مالكوم هاتفياً ليخبرني أنه « مسافر خارج المدينة لعدة أيام ». افترضت أن لديه ارتباطاً بمحاضرة في مكان ما مثل مرات كثيرة سابقة أو أنه سيعتني ببعض أمور المسلمين هنالك فكنت أستغل تلك الفرصة لأرتب أوراقي حسب عناوين الفصول التي تلائمها . ولكنه حينما عاد هذه المرة أخبرني مزهوًا : «عندي لك خبر سيدهشك . منذ أن تحدثت معك عن أمي ، أصبحت أفكر فيها كثيراً واكتشفت أنني منعت نفسي من التفكير إذ التفكير فيها وهي تقضي بضعاً وعشرين سنة في مصحة عقلية لم يكن أمراً مبهجاً . لا أود أن أدعي الفضل لنفسي لأن من فكر في إخراجها كانت أختي يفون . جمعت يفون أخوتي ولفرد ، وزلي و فلبرت مع بعض وانضممت أنا إليهم أيضاً وفلبرت هو الذي عالج الموضوع.

« لقد جعلني ذلك أواجه شيئاً عن نفسي وهو أنني أزحتها عن تفكيري لأنني ببساطة لم أشعر أن المشكلة يمكن أن تحل ولذلك منعت نفسي من تذكرها وذلك بعقلي الباطن . الرجل الأبيض يفعل ذلك فهو ينحي الأمر عن عقله ويبني في

عقله الباطن سدوداً فكرية حول أي شيء لا يريد أن يواجهه . لقد وعيت لذلك لتوي وعرفت كيف كان عقلي مسدوداً نحوها بعد أن أثرت أنت الموضوع . تلك خصلة لا أحبها في نفسي فأنا عندما تواجهني مشكلة أعجز عن حلها أنفيها من عقلي وأتظاهر أنها غير موجودة لكنها موجودة ».

كان الدور عليَّ أن أتأثر بذلك . بعد ذلك بفترة ليست طويلة غادر مالكوم المدينة لعدة أيام وعندما عاد هذه المرة قال أنهم « تناولوا العشاء في منزل فلبرت مع والدتهم لأول مرة منذ سنوات طويلة.» أخبرني أن « عمرها ستة وستين عاماً وذاكرتها أحسن من ذاكرتي وتبدو شابة وفي صحة جيدة . كانت محتفظة بأسنانها الطبيعية أكثر من الذين تسببوا في إرسالها للمصحة ».

كان مالكوم عندما يغضبه شيء أثناء اليوم يأتي وهو محمر الوجه ويقضي جل وقت اللقاء في هجوم مرير. عندما أطلقت الشرطة في لوس أنجلوس النار على بعض المسلمين وأردت أحدهم قتيلاً ، عاد مالكوم من رحلته إلى هناك وصار قليل الكلام لمدة أسبوع . هنالك في لوس أنجلوس وهو في ذلك المزاج أطلق مالكوم جملته التي أثارت عليه حنق الناس من الجنسين ، البيض والسود . قال: « لقد سمعت لتوي أخباراً جميلة » وهو يشير إلى حادث انفجار طائرة في مطار أورلى بباريس توفي منه للتو بعض وثلاثون أمريكي أبيض مغظمهم من مدينة أطلانطا بولاية جورجيا . لم يعترف مالكوم أبداً بخطئه أمام الجمهور عن تلك الجملة فيما أعرف ولكنه قال لي بعدها بمدة طويلة « تلك واحدة من الأشياء أتمنى لو أني لم أقلها أبداً ».

في أي مرة نذكر فيها القاضي الفدرالي ثيرجود مارشال (عضو المحكمة الأمريكية العليا اليوم) ، كان مالكوم يهيل النار على ما قاله ذلك القاضي قبل سنوات عندما كان كبير المستشارين القانونيين لمنظمة تقدم الملونين القومية: «المسلمون يدير أمورهم مجموعة من اللصوص من داخل السجون وأنا متأكد أن إحدى المجموعات العربية تمولهم » المرة الوحيدة التي سمعت فيها مالكوم يقول كلمة يمكن أن تفسر على أنها سباب هي كلمة « الجحيم » التي قالها تعليقاً على تصريح قاله الدكتور مارتن لوثركنج فحواه أن خطب مالكوم « جلبت الشقاء على الزنوج » انفجر مالكوم أمامي : « بحق الجحيم كيف لحديثي أن يفضي إلى ذلك ؟ دائماً يلومون الزنوج وينسون ما فعله الرجل الأبيض ». اتهامه « بالدهماوى » و« المتطرف » كانا دائماً يهيجانه « نعم ، أنا متطرف. الرجل الأسود هنا في أمريكا في حالة متطرفة السوء . أرني رجلاً أسود ليس متطرفاً وسأريك واحداً في حاجة إلى علاج نفسي ! ».

ذات مرة قال « أرسطو صدم الناس ، داروين أثار غضبهم ، الدوس هوكسلي فضح الملايين .» أتبع مالكوم ذلك مباشرة بقوله :« لاتكتب هذا وإلا لظنوا أنني أشبه نفسي بهؤلاء . في مرة أخرى استفزه شيء ما فصاح قائلاً :« هؤلاء (الأعمام توم) يذكرونني كيف هوجم المسيح وسط أهله » ثم قفز مباشرة بعد ذلك وخطف مني الورقة ، مزقها ثم فركها بيده ووضعها في جيبه واستمر خامداً بقية اللقاء.

أذكر مرة أنه أراني أثناء الحديث ورقة من صحيفة بها خبر عن وليد زنجي عضه جرذ . علق مالكوم بالتالي : « اقرأ هذا الآن وفكر فيه لدقيقة ! لنفترض أنه كان طفلك ! أين مالك ذلك المبنى – على البلاج في ميامي ! » استمر يغلي طول الوقت في تلك الليلة . لم أذهب معه في صباح اليوم التالي حينما ذهب وخاطب مجموعة من الزنوج في هارلم ووقعت حادثة سجلتها هيلين دودار في صحيفة **نيويورك بوست** كالتالي :

« نظر مالكوم وهو يتحدث إلى أحد الصحفيين البيض أمامه وكانوا البيض الوحيدين بين الحضور وقال :« أمامنا الآن أحد من الصحفيين الذي لم يكتب كلمة في مفكرته لأكثر من نصف ساعة ولكن ما إن يسمعني أقول شيئاً عن اليهود إلا ويبدأ في الكتابة والاهتمام ليبرهن إني معاد للسامية ».

« من خلف الصحفي ارتفع صوت رجل يقول : اقتلوا ابن الزنا ، اقتلوهم كلهم . الصحفي الشاب من خوفه ابتسم بعصبية فسخر منه مالكوم قائلاً : انظروا إليه وهو يضحك . إنه لا يضحك حقاً فهو يضحك بأسنانه . سيطر على حافة الجو توتر قبيح فاستمر مالكوم : الرجل الأبيض لا يعرف كيف يضحك ، أنه فقط يظهر أسنانه ، لكننا نعرف الضحك ونضحك من أعماقنا حتى شعر رأسنا. انفجر المستمعون ضاحكين من أعماقهم حتى شعر رأسهم ومثلما أهاج مالكوم الجمهور فجأة ، هدأه بحنكة وسرعة كانت ضربة معلم وتعليقا جائراً في نفس الوقت ».

سمعت في مكان ما بعد ذلك أو قرأت أن مالكوم إكس اتصل بالصحفي هاتفيًا ليعتذر له . إلا أن هذا النوع من الحوادث هو الذي دعا الكثير من مراقبي الظاهرة المالكومية أن يعلنوا بجدية مطلقة أنه كان الزنجي الوحيد في أمريكا الذي يستطيع أن يشعل شغباً عنصرياً أو يوقفه. عندما قلت هذه الجملة أمامه مرة بطريقة تستدعي تعليقه من غير أن يشعر علق بطريقة لاذعة « لست أدري إذا كان باستطاعتي أن أشعل شغباً ولست أدري إن كنت سأود أن أوقف شغباً ».

مع مرور الشهور بدأت أؤسس نوعا من العلاقة الهاتفية مع زوجة مالكوم إكس التي كنت أناديها « الأخت بتي » كما سمعت المسلمون يفعلون . أعجبت بطريقة إدارتها للمنزل مع وجود ثلاثة أطفال صغار ثم تتمكن بعد ذلك من الرد على كل

المحادثات الهاتفية التي تأتي لمالكوم والتي كان عددها حتما يكفي ليشغل عاملة تشغيل هاتف . أحيانا عندما يكون معي يتصل بالمنزل هاتفيًا ويقضي ما يصل خمس دقائق وهو يكتب بسرعة على مفكرة الرسائل المختلفة التي تركت له .

الأخت بتي كانت عامة ودودة وهي ترد على الهاتف لكنها أحيانا كانت تهتف بغضب: « هذا الرجل لا ينام أبدًا . » مالكوم كان نادرًا ما يعمل أقل من ١٨ ساعة في كل يوم من أيام الأسبوع . أحيانا كان يبقى معي حتى الرابعة صباحًا في الأستديو و مع أن المسافة إلى بيته في أيست المهيرست بلونج آيلاند تستغرق أربعين دقيقة ، كان يطلب مني أن أتصل به في التاسعة صباحا . كان ذلك يحدث عندما كان يريدني أن أذهب معه لمكان ما وكان يحب أن يراجع التزاماته في البيت أولا قبل أن يحدد لي أين ومتى سنتقابل (هنالك أيام لا ألقى فيها أنا نفسي نوما كافيا .) كان يصحبه دائما بعض زملائه المسلمين مثل جيمس ٦٧ إكس (المسلم رقم ٦٧ الذي انضم إلى مسجد هارلم رقم ٧ وهو يحمل اسم جيمس أيضا) . أو تشارلس ٣٧ إكس ، أو أنا لكنه لم يطلب مني أبدا أن أنضم إليه عندما يكون أي منهم موجوداً . ذهبت معه إلى محاضرات في الكليات والجامعات ، إلى أحاديث في المذياع والتلفاز وإلى محاضرات عامة في أماكن وظروف متباينة .

كنا حين نكون سائرين بالسيارة في مكان ما يلوح سائقو العربات لمالكوم ، بيضًا وزنوجًا ، ووجوههم تشرق بالانبهار الذي تثيره في الناس مقابلة المشهورين . كثير من مضيفات الطائرات أصبحن يعرفنه لأنه يسافر بالطائرة كثيرا . كن يبتسمن بإشراق نحوه. هو من ناحيته كان عصارة التهذيب وما أن ينتشر خبر وجوده في الطائرة إلا وتشتد الحركة في الممر إلى المرحاض مارة به . وعندما نصل إلى أي مكان اعتدنا أن نسمع جملة« ذلك مالكوم إكس ! » أين ؟ « الطويل القامة » المارة من اللونين كانوا يحملقون فيه وبعضهم ، وأكثر ذلك البعض من الزنوج ، يكلمونه أو يومئون برؤوسهم نحوه محيين و نسبة كبيرة من البيض كان يبدو عليهم عدم الارتياح لوجودهم في حضرته خاصة في الأماكن الضيقة مثل المصاعد . « أنا الرجل الأسود الوحيد الذي يقول الحق يجدون أنفسهم على مقربة منه » ذلك ما وضحه لي مالكوم ذات مرة . « أن ما يزعجهم هو شعورهم بالذنب وليس أنا. » في مرة أخرى قال ، « الرجل الأبيض يخاف من الحقيقة فهي تأخذ بخناقه وتنهك قواه – لاحظ كيف يحمر وجهه في أي مرة تقول له فيها حقيقة صغيرة ».

كان هنالك شيء ما حول هذا الرجل حينما يكون موجودا في غرفة مع آخرين فهو يسيطر على الغرفة أيما شخص آخر كان حاضرًا . وحتى في خارج الغرف ، أذكر مرة في هارلم أنه كان يجلس في مدرج بين المتحدثين عضو الكونجرس آدم

كلايتون باول ورئيس مجلس قسم مانهاتن السابق ، هولان جاك ، في تظاهرة في الشارع ، وعندما انتهت كانت أنظار الجمهور مركزة أساسًا على مالكوم إكس

أذكر مرة أخرى أننا سافرنا بالقطار من مدينة نيويورك إلى فيلادلفيا حيث ظهر في قاعة المؤتمرات في المدينة في برنامج إذاعي لمحطة دبليو . سي.أيه.يو. يقدمه إد هاريف . سأله هاريف وهو يقدمه « أنت الرجل الذي قال كل الزنوج غضبي وأنا أكثرهم غضبا على الاطلاق ، هل هذا صحيح ؟ » أجاب مالكوم بهدوء :« هذه الرواية صحيحة ! » فتفرس جمهور الواقفين فيه متسمرًا .

ركبنا القطار إلى فيلادلفيا في مقاعد محجوزة في عربة ممتازة وكان تعليقه على ذلك ، « لا أستطيع أن اركب في عربة سياحية لأن ذلك يسبب لي متاعب عندما تكتشف جمهرة الركاب وجودي . » ونحن في الطريق داخل القطار إلى العربة المترفة مررنا بعربة الطعام فعلق ، « لقد كنت أعمل في هذه العربة » وفي الطريق إلى وجهتنا اخبرني عرضًا أن ألْ إف . بي . آي (مكتب المباحث الفدرالية) حاول أن يرشوه ليتحصل على معلومات عن إلايْجا محمد وأنه يود لي أن أتأكد وأقرأ كتابًا جديدًا اسمه أزمة بالأبيض والأسود ألفه تشارلس سيلبرمان ، «من قلائل الكتاب البيض الذي أعرفهم له شجاعه ليقول ما يراه حقيقة » ، كما طلب مني أن أتذكر واتصل هاتفيا بهيلين دودار المحررة في صحيفة نيويورك بوست لأقول لها أنه أعجب كثيرًا بسلسلة التحقيقات الأخيرة التي قامت بها . لم يكن يود أن يعبر لها عن ثنائه شخصيا .

بعد انتهاء برنامج إد هاريف رجعنا بالقطار لمدينة نيويورك . العربة الممتازة وهي مزدحمة بالرجال العائدين من العمل ووجوههم خلف صحفهم كانت وكأنما أصابها تيار كهربائي لوجود مالكوم إكس و بينما الحمال الزنجي بردائه الأبيض يمشي ويجيء في الممر همس مالكوم إكس في أذني : « كان يعمل معي ولكني نسيت إسمه إلا أننا كنا نعمل سويًا في نفس القطار . أنظر إليه فهو يعرفني ولكنه يفكر فيما يفعل إزاء هذا الموقف . » فات الحمال من أمامنا ووجهه لا تبدو عليه أي عاطفة ولكن حينما مر بقربنا في المرة التالية ، مال مالكوم إكس فجأة من مقعده وهو يبتسم نحوه ، عندها هتف الحمال فجأة ، وبصوت عال ، « لِم ! أنا أعرف من أنت . لقد كنت تغسل الأطباق في نفس هذا القطار وقد أخبرت بعض الزملاء بذلك . كلنا نتتبع أخبارك ».

ازداد التوتر في العربة كثافة ثم عاد النادل بعد فترة وجيزة ليقول لمالكوم إكس . « أحد ضيوفنا يود التعرف إليك » بعد ذلك حالا نهض شاب ابيض أنيق الهندام وتقدم من مالكوم مادا يده فنهض مالكوم وهز على اليد الممدودة بشدة.

الصحف في أيدي الركاب تدلت قليلا لتظهر عيونهم . أوضح الشاب الأبيض بجلاء وبصوت عال أنه كان في الشرق لمدة وهو الآن يدرس في جامعة كولومبيا وأضاف لمالكوم إكس : « لا أتفق معك في كل ما تقوله ولكنني معجب بطريقة عرضك».

صوت مالكوم وهو يرد كان الود مجسما إذ قال « لا أعتقد أنك ستجد في طول أمريكا وعرضها رجلين يتفقان في كل شئ .» تلى ذلك ما قاله لرجل آخر ، رجل أعمال عجوز جاء وهز على يدي مالكوم ، « سيدي ، أنا مدرك لما تشعر به . أنه من الصعب أن تهاجمني في حين أنك تتفق معي في كثير مما أقول » ثم استمرينا إلى نيويورك .

في واشنطن د. س. هاجم مالكوم الحكومة لتمنعها في اتخاذ خطوات ايجابية في صالح الزنوج . في ظني أنه حتى البيت الأبيض اهتم بما قال لأنني بعد ذلك بمدة تركت مقابلاتي مع مالكوم لعدة أيام وذهبت إلى البيت الأبيض لكتابة مقابلة صحفية مع السكرتير الصحفي للبيت الأبيض حينها بيير سالنجر الذي كشر وجهه عندما ذكرت له أنني أعد كتاباً عن سيرة مالكوم إكس الذاتية في مرة أخرى تركت مالكوم لعمل مقابلة صحفية مع جورج لنكون روكويل قائد الحزب النازي الأمريكي الذي قال لي بصراحة أنة أعجب بشجاعة مالكوم إكس ويرى أن كليهما يجب أن يلقيا محاضرات سويًا في كل أرجاء الولايات المتحدة وبذلك يبدآن في تقديم حل حقيقي للمسألة العنصرية – حل ينطوي على الانفصال طوعيا بين الجنسين الأبيض والأسود يعود بموجبه الزنوج إلى أفريقيا . ذكرت ذلك لمالكوم فتنهد قائلا : « لابد أنه يظنني مخبولاً. كيف أبدو وأنا أتنقل مع الشيطان نخطب من مكان لآخر .» في مرة أخرى بعد ، ذهبت إلى أطلانطا وعملت مقابلة صحفية مع دكتور مارتن لوثر كنج الذي بدا عليه الفضول وهو يسمع مني بعض الأشياء الصغيرة غير المعروفة عن مالكوم إكس ، أما للنشر الصحفي فقد تحدث عن مالكوم بتحفظ وقال أنة يود أن تسنح له فرصة ليتحدث معه في المستقبل . عندما سمع مالكوم ذلك قال بجفاء: « هل تعتقد أن علي أن أبرقه برقم هاتفي ؟ » (لكن من الأشياء الأخرى التي قالها لي مالكوم في مرات مختلفة ، استخلصت أن مالكوم يكن لدكتور كنج إعجاباً متمنعاً) .

مالكوم إكس وأنا وصلنا في الآخر إلى تبادل إخاء ما وبالرغم من أن أيًّا منا لم يقلها شفاهه فقد كانت علاقتنا دافئة . كان بالنسبة لي واحدا من أكثر الشخصيات إثارة للاهتمام بين كل من عرفت إطلاقا ومن جانبه استخلصت أنني كنت شخصا يستطيع أن يفتح له قلبه من غير أن يخاف أنني سأنقل ما قاله إلى شخص أخر ومثل أي شخص يعيش في توتر كان يسره أن يكون مع شخص ، رجل

أخر ، يمكنه أن يسترخي في حضرته . أصبح عندما أسافر في مهمة يطلب مني أن أتصل به لأخبره بميعاد عودتي إلى نيويورك وعادة كان يحضر لمقابلتي في المطار إذا وجد الوقت . كنت أراه سائرًا نحوي بخطواته الواسعة وعلى وجهه الابتسامة العريضة الطيبة وعندما نركب عربته يحدثني في الطريق عن آخر الأخبار المثيرة التي حدثت في غيابي . أذكر واقعة معينة في المطار أرتني أن مالكوم لم يفقد أبداً إحساسه بالعنصرية . كنا في انتظار وصول العفش فشاهدنا لقاء أفراد عائلة يلمس أوتار القلوب وبينهم أطفال صغار يقفزون ويلعبون وينادون بعضهم في لغة أجنبية . علق مالكوم ، « غدًا مساء سيتعلمون أولى كلماتها باللغة الإنجليزية : نيجر ! » .

عندما يسافر مالكوم في رحلة طويلة إلى بلد مثل سان فرنسيسكو أو لوس أنجلوس لم أكن أصحبه ولكنه كان كثيرًا ما يتصل بي هاتفيا في آخر الليل ليسأل عن سير الكتاب وقد يحدد ميعاد جلستنا التالية وهنالك اتصال هاتفي معين لن أنساه أبدًا أتاني في الرابعة صباحا ولابد أنه استيقظ لتوه من النوم في لوس انجلوس . أتاني صوته يقول :« إليكس هيلي ؟ » وقلت وأنا شبه نائم « نعم ، أوه ، هاي ، مالكوم ! » فأجابني :« إنني أثق بك سبعين بالمائة » ثم أقفل الخط . استلقيت لفترة أفكر فيه ثم قفلت عائدًا إلى النوم مع حرارة ذلك الشعور التي مازلت أحس بها عندما أتذكرها . لم يذكر أينا تلك المحادثة أبداً بعد ذلك .

احترام مالكوم المتزايد لبعض البيض الأفراد كان يسبغه على من كانوا لا يأخذون ما يقوله كمسألة شخصية ويتعاركون معه فكريا كرجل لرجل . بالإضافة إلى ذلك صارت لديه قناعة بأنه يستطيع أن يعرف أشياء كثيرة عن أي شخص بالإصغاء إلى صوته . « أنني تنصت جيدا لصوت الرجل حينما يتكلم وأستطيع من ذلك أن أحدد مدى إخلاصه » أما أكثر صحفي أعجب به مالكوم في النهاية أكثر من أي شخص آخر فقد كان م . س هاندلر من صحيفة نيويورك تايمز (لقد سعدت جدا عندما علمت بموافقة هاندلر على كتابة مقدمة هذا الكتاب وأنا متأكد أن مالكوم سيسر بذلك) . المرة الأولى التي سمعت فيها مالكوم وهو يتحدث عن هاندلر الذي كان قد قابله حديثا ، بدأ كالتالي ، « لقد كنت أتحدث مع هذا الشرير » ثم توقف فجأة في خجل من نفسه واردف « إنه صحفي يدعى هاندلر ، من التايمز » بدأ احترام مالكوم للرجل يزداد بانتظام وعلق مالكوم عنه بعد شهور من ذلك : « إنه أقل رجل أبيض قابلته تحاملا على الإطلاق وبصدق . لقد أخبرته وسألته عن عدة أشياء كما أنني استمعت له يتحدث عن قرب ».

لقد رأيت مالكوم مرات كثيرة وهو منتشياً في فترات النقاش بعد المحاضرات

في الجامعات والكليات التي أغلب طلابها من البيض مما يجعل من الصعب عليّ أن أصدق أنه في أعماقه يكره كل البيض بلا استثناء . « أمل أمريكا الوحيد هو في شبابها الأبيض وكذلك الأسود أما بقيتنا فقد كنا دوما نعيش كذبة » هذا ما ذكره لي مرة .

هنالك عدة زنوج يأتون إلى الذاكرة الآن بهروا مالكوم إكس بشدة (وآخرون أتذكرهم لعلمي بأنه كان يمقتهم بشدة ولكني لن أذكر الأسماء) من الذين كان يقدرهم ويضعهم في مرتبة عالية كان المصور العظيم ، جوردون باركز ، الذي ارتبط اسمه بمجلة **لايف** . من خلال نفوذ مالكوم إكس مع إلايْجا محمد ، سمح لباركز أن يدخل ويصور بغرض النشر في مجلة **لايف** ، تدريبات الدفاع عن النفس السرية التي يقوم بها شباب ثمار الإسلام مما جعل من باركز فيما أعلم أول شخص غير مسلم ، ماعدا رجال الشرطة والجواسيس الحكوميين ، يشهد ذلك . قال عنه مالكوم ذات مرة :« نجاحه مع البيض لم يجعله ينسى حقيقة أنه أسود » .

وشخص آخر كان مالكوم إكس يكن له نفس الشعور هو الممثل الزنجي أوسي ديفز . مرة وبينما كنا في منتصف الحديث في إحدى المقابلات توقف فجأة ليسألني ، « هل تعرف أوسي ديفز؟ » وعندما أجبت بالنفي قال « عليّ أن أعرفك به ، فهو واحد من أروع الرجال السود» . و من تعامله الطويل مع محرري صحيفة هارلم الأسبوعية **أمستردام نيوز** حاز كل من المحرر التنفيذي ، جيمس هيكس ، وكاتب التحقيقات جيمس بوكر ، على إعجاب مالكوم . عن هيكس قال « إن عقله متفتح وهو لا يخشى الرجل الأبيض أبداً ». و رأيه في بوكر كان أنه مراسل ممتاز وكذلك بهرته مسز بوكر حينما قابلها .

بواسطة مالكوم تعرفت إلى اثنين من أعز أصدقائي اليوم فقد قدمني إلى دكتور سي . إريك لنكون الذي كان وقتها يعد كتابه المسلمون السود في أمريكا و إلى لوي لومإكس الذي نشرت له وقتها عدة مقالات عن المسلمين . احترم مالكوم بشدة الاهتمام والتعمق الذي كان دكتور لنكون يؤدي بهما بحثه . أما ما كان يعجب به في لومإكس فهو جريه خلف الأخبار بعين مفتوحة وأذن مترقبة للأخبار الساخنة . كان يقول عنه :« لو رأيت ذلك الوغد يجري إلى مكان ما ، فسأجري خلفه لأني سأتيقن أنه وراء شيء مهم ». أعجب مالكوم أيضًا بالكاتب جيمس بالدوين « إنه ذكي لدرجة أنه يشوش على تفكير الرجل الأبيض بالكلمات » ، وفي مرة أخرى قال عنه ، « لقد أقلق الرجل الأبيض أكثر من أي شخص ما عدا إلايْجا محمد ».

مالكوم لم يكن يثني على القساوسة السود ربما لأنهم كانوا دائما يهاجمون

إلايجا محمد . ما عدا احترامه المتمنع لدكتور كنج ، سمعته يذكر بخير قسًا واحدًا فقط هو الأب يوجين ل. كالندر من كنيسة المشيخانيين ، « إنه واعظ ولكنه محارب من أجل الرجل الأسود ». ذلك ما صرح لي به مالكوم عنه مرة . علمت بعد ذلك أن الأب كالندر ، الرجل الصريح ، قابل مالكوم في مكان ما مرة وأخذه جانبا وقرأ له شيئا من هجومه العام على القساوسة السود عاتبا عليه . مالكوم كان معجبًا أيضًا بالأب آدم كلايتون باول في دوره كعضو بالكونجرس الأمريكي ، « سأفكر بالتقاعد إذا كان للرجل الأسود عشرة من أمثاله في واشنطن . » كان له شعور مماثل نحو محامي المنظمة القومية لتقدم الملونين ، بيرسي سطن ، الذي يعمل الآن كعضو في مجلس نواب ولاية نيويورك وفي مستقبل الأيام احتفظ به كمستشاره القانوني . ومن بين رجال التعليم الزنوج الذين قابلهم مالكوم في الجامعات و الكليات لم أسمعه يذكر واحدا منهم بخير ماعدا دكتور كينيث كلارك الذي قال عنه : « هنا رجل اسود له عقل مستريح » كانت له تحفظات واضحة عن طبقة المهنيين الزنوج عمومًا حيث أنهم كانوا مصدر أغلب الهجوم على المسلمين السود ولهذا السبب كان يهاجمهم مر الهجوم ويقول عنهم أمام المستمعين في مؤسسات التعليم العالي الزنجية :

« هؤلاء المنافقون الذين يسمون بالمتعلمين ، حملة الدكتوراه ».

كان مالكوم أكثر ما يكون انبساطاً وسعادة عندما يكون بين بني جلدته وقد صادف أن صحبته بعض المرات فيما يسميه « جولاتي اليومية الصغيرة » في شوارع هارلم وبين الزنوج الذي يتحدث عنهم من يدعون بالزعماء السود في نظره «كإحصاءات جماهير سوداء » في هذه الجولات كان مالكوم يتفادى المنعطف الرئيسي في الجادة ١٢٥ في هارلم ويتجول في الشوارع الجانبية خاصة التي بها كثافة سكانية ممن يصفهم « بالرجل الأسود في قاع البالوعة من حيث أتيت » ، الفقراء الذين يكثر بينهم مدمنو المخدرات والخمور.

في هذا الوسط كان مالكوم بطلاً حقيقيًا . كان يتمشى في الأرصفة ويغمر كل من يلاقيه بابتسامة طفولية عريضة وحديثه مع من يتقدم إليه كان هادئًا وبشوشًا . قد يقول لمدمن خمر : «ذلك بالضبط ما يريده لك الشيطان الأبيض . يريدك أن تصبح مخمورا حتى يهوي عليك بهرواته » أذكره مرة وقد وقف في منحنى ليحيي عدة نساء طاعنات في السن وقال لهن : « دعوني أسألكن عن شيء ، يا أخوات . هل رأيتم أبدًا رجلاً أبيض واحدًا لم يفعل لكن شيئا أو يأخذ منكن شيئًا ؟ » واحدة من بينهن هتفت بعد لحظة « أنا حتما لم أر » وعند ذلك ضحكن كلهن واستمررن في المشي ومالكوم يلوح لهن وهن يهتفن « إنه محق ! ».

أذكر ذات مرة في أول المساء أن مررنا في ركن برجل رث الثياب يلقي خطبة رنانة على جمهرة من الناس من فوق صندوق خشبي والعلم الأمريكي بجانبه وهو يقول :« إنني لا أؤمن في هذا العلم اللعين ولكني أضعه لأنني ممنوع من عقد اجتماع عام بدونه إلا إذا كنت أريد أن يضعني الرجل الأبيض في السجن . وهذا ما أريد أن أتحدث عنه . هؤلاء العنصريون الذين يغتنون من دم وعظم أهليكم » علق مالكوم: « إنه يعمل ! » .

نادرًا ما تكلم مالكوم مع الزنوج أصحاب الشعر المكوي اللامع من غير أن يوكزهم قائلاً : « أها ، يا أخ ، الشيطان الأبيض علمك أن تكره نفسك للدرجة التي معها تضع محلول القلي الساخن على شعرك حتى يشبه شعره ».

أذكر مجموعة أخرى من النساء في محل بقالة صغير ذهبت إليه لأبتاع شيئًا وتركت مالكوم في الجانب الآخر من الشارع . عندما خرجت من المتجر وجدت امرأة تصف للأخريات بحماس أحدى محاضرات مالكوم التي سمعتها في المسجد رقم سبعة في أحد أيام الآحاد. « أووه ، لقد أحرق الرجل الأبيض ، أحرقه من عل ، فلفل ... فلفل ... قال لنا: إننا سلالة ملوك وملكات سود ، يا إلهي ، لم أكن أعرف ذلك ! » سألتها أخرى « أتصدقين ذلك ؟ » فأجابتها بحماس « نعم ، أصدق ذلك ».

أذكر أيضا عازف غيثار وحيد جاثما في شارع جانبي يغني لنفسه عندما رفع رأسه وتعرف في التو على الشخص القادم ذي الخطوات الواسعة . صرخ عازف الغيثار « هاه – هو! » وقفز ثم أدى تحية عسكرية قائلا :« رَجُلي ! » .

مالكوم أحب ذلك التمشي بينهم و من جانبهم أحبوه . لم يكن هنالك أدنى شك في جاذبيته : وهو يقف طويلا تحت عامود نور يتحدث إلى سكيرين ، أو هو يفجر الكلمات لملايين المستمعين الذين لا يراهم ، أو وهو يدغدغ شعور المجموعات البيضاء الصغيرة المتعلمة بكلام مثل « هوايتي هي إثارة الزنوج (النيجروز) وهي تنطق نييجروز مثلما تنطقونها انتم الليبراليون . » لم يكن عندي أدنى شك أن الرجل كان ساحرًا للجماهير ، كانت له قدرات خارقة . وأنا لست الوحيد الذي تعجب في مرات مختلفة كيف يستمر هذا الرجل في تلقي كمية هائلة من الدعاية الشخصية عالميا ومع ذلك يستمر عمليا في كل ما يقوله ، أمام العامة والخاصة ، يعزي الفضل والأمجاد « لصاحب الشرف إلايْجا محمد ». كثيرا ما كتبت لنفسي شيئا جانبيا عن ذلك . إنني كنت فعليا أحتفظ بدفترين منفصلين . في مرة لاحظ مالكوم انتقالي من دفتر لآخر فسألني السبب بفضول وقلت له عذرًا ما ، لكني لم أخبره أن أحد الدفترين كان للكتاب والثاني لملاحظاتي الخاصة عنه ، كان غالبا سينكمش في حديثه لو عرف ذلك . « لابد أنك كتبت مليون كلمة حتى

الآن» علق مالكوم فأجبته « ربما » قال متأملا :« الرجل الأبيض مجنون وسأبرهن لك ذلك . هل تعتقد أنني سأنشر كلام شخص يقرعني مثلما أفعل أنا عن الرجل الأبيض ؟ » .

سألني مالكوم في أحدى الأمسيات « انظر ، قل لي الحقيقة فأنت تسافر أماكن كثيرة . هل سمعت شيئا ؟ »

أجبته بأمانة :إنني لا أدري عماذا يتكلم فترك الموضوع وتحول إلى الحديث عن شيء آخر .

من مالكوم شخصيًا رأيت أو سمعت بعض الأشياء الغريبة التي جعلتني أتساءل في داخل نفسي ولكني حينما لم أجد ما أربطه بها نسيت الموضوع . في أحد الأيام ونحن داخل سيارته وقفنا عند التقاطع أمام الإشارة الحمراء فوقفت بجانبنا سيارة أخرى يقودها رجل أبيض الذي ما إن رأى مالكوم إكس حتى صرخ مناديًا : « لا ألوم قومك في لجوئهم لك ولو كنت أنا زنجيا لفعلت مثلهم . واصل النضال ! » رد عليه مالكوم بإخلاص:« ليت لي فرعا للبيض الذين أقابلهم من أمثالك » تغيرت الإشارة وتحركت السيارة فالتفت مالكوم إلى بسرعة قائلا بحزم ، «ليس عليك ألا تكتب ذلك فحسب ، بل لا تحكه أمام أحد . سيجن مستر محمد لو علم بذلك » المهم في هذه الحادثة حينما أستعيدها الآن هو أن تلك كانت أول مرة أسمعه يقول عن إلايْجا محمد شيئًا يقل عن التوقير.

في حوالي نفس تلك الأيام كانت الخريشة على أحد مناديل الورق التي استعيدها تقول « حياتي دوما حافلة بالتغييرات . » بعد ذلك بزمن وفي سبتمبر ١٩٦٣ كان مالكوم منزعجاً جداً من شيء ما طوال الأمسية وعندما قرأت صحيفة أمستردام نيوز لذلك الأسبوع ، خمنت أن ما أزعجه هو بند في العمود الذي يكتبه جيمي بوكر ذكر فيه الكاتب أنه سمع شيئا عن خلاف وقع بين مالكوم إكس وإلايْجا محمد . (كشف بوكر بعد ذلك بزمن أنه كان في عطلة بعد كتابة ذلك العمود ولكنه علم أن مالكوم وثلاثة من الأتباع دخلو مكاتب الجريدة هائجين . . . « أين جيمس بوكر ؟ أنني أؤمن بمستر محمد وأنا على استعداد للتضحية بحياتي من أجله ») .

كذلك كنت بين الفينه والفينة وحينما يصدف أن أقابل بعض مسئولي المسلمين الكبار وأنا مع مالكوم ولكنه ليس على مقربة ، كنت الاحظ في عباراتهم أو سلوكهم نقصًا ما في إعجابهم الكامل بزميلهم المشهور – لكنني كنت أقول لنفسي :لا تتظنن وتسيء تفسير الأمور . في غضون تلك الأيام كنا أنا ودكتور سي . إريك لنكون كثيرا ما نتحدث هاتفيا ودائما نذكر أن بذور الخلاف موجودة في

كون مالكوم الزعيم الدرامي الذرب اللسان هو محط تركيز واهتمام الصحافة والجمهور ومهما أثنى هو على إلايْجا محمد ، في ذلك مصدر حتمي للخلاف . و مع ذلك لم أع ولم أحلم بما كان يدور في عقل مالكوم تلك الأيام فهو لم يتفوه لي بكلمة عنه أبدًا إلى أن أصبح خبر الشقاق على كل لسان .

وعندما ترك مالكوم الاستديو حوالي الثانية صباحا طلب مني أن أتصل به في التاسعة صباحا ، وعندما فعلت وجدت أن جرس الهاتف في بيته في ايست المهيرست يستغرق وقتًا أطول من العادة في الرنين قبل أن يرد أحد وان الأخت بتي تبدو قلقة من صوتها وتكاد تخنقها العبرة حينما ترد وكذلك كان صوت مالكوم متغيرا . سألني : « هل سمعت المذياع أو قرأت صحف الصباح ؟ » أجبت بالنفي فقال « حسنا ، عليك بذلك ! » وأخبرني أنه سيتصل بي فيما بعد .

خرجت وأحضرت الصحف وقرأت فيها باندهاش أن إلايْجا محمد علق عضوية مالكوم إكس والسبب المكتوب هو جملة « رجعت العرجاء لمراحها » التي تفوه بها كتعليق على أغتيال الرئيس كندي .

اتصل بي مالكوم فعلا بعد ساعة من حديثه ومن ثم ذهبت لمقابلته في مكتب صحيفة المسلمين السود في هارلم على بعد مربعين من المسجد والمطعم في شارع لينوكس . كان يجلس وراء مكتبه المعدني البني وقبعته البنية أمامه على المفرش الأخضر وكان يرتدي بذلة ذات صديري داكنة اللون مع قميص أبيض ومشبك على شكل سمكة عائمة على ربطة عنقه وقدماه الكبيرتان داخل الحذاء الأسود تهزان المقعد الدوار يمينًا ويسارًا بينما هو يتحدث على الهاتف .

« إنني دائما أتألم من أي فعل ينم عن عدم الانصياع من جانبي لمستر محمد . . . نعم ، سيدي، كل ما يفعله صاحب الشرف صواب في رأيي وأنا مؤمن تماما بحكمته وسلطانه . » جرس الهاتف كان يرن مرة أخرى بمجرد أن يضع السماعة . « مستر بيتر جولدمان ! لم أسمع صوتك منذ فترة ! نعم كان علي ألا أتفوه بشيء » .ولصحيفة **نيويورك تايمز** قال : « سيدي ! نعم ، منعني من الظهور أمام الجمهور حاليا ، الشيء الذي أتفهمه تماما وسأقول لك ما قلته للآخرين وهو أنني ممتثل تماما لحكم مستر محمد لأنني وجدت أحكامه دائما مبنية على أسس سليمة . » ولمندوب شبكة التلفاز ، سي . بي . إس ، قال : « أعتقد أن أي شخص يطلب الانضباط من الآخرين عليه أن يقبل ضبط نفسه . »

خلال الأسابيع العصيبة التالية حمل مالكوم صورة النادم على إثمه لكن مؤخر عنقه كان محمرًا في كل مرة رأيته فيها حتى في تلك الأوقات لم يفصح عن غضبه

الواضح من أذلاله العلني كما أننا لم ننجز أية أحاديث للكتاب فقد كان مشغولا بالهواتف التي ترن في كل مكان لكن ذلك لم يعد مهما إذ أنني كنت قد تحصلت من أحاديثه السابقة على جل مادة قصة حياته . كان عندما يجد وقتاً ليزورني يبدو عليه الانشغال وكنت أحس بما يعتمل في نفسه من الغضب والاستياء لحرمانه من العمل لكنه كان يحاول جهده أن يخفي ذلك .

في أحد الليالي كانت خربشته كالتالي : « لن تغير رجلا بإسكاته . جون فيسكاونت مورلي » وفي نفس الليلة بخط غير واضح « كنت في طريقي إلى الحضيض حين التقطني ، ولكني كلما أفكر في ذلك أكثر أرى أننا التقطنا بعضنا البعض » .

وعندما لم أقابله لعدة أيام وصلني منه خطابا : « لقد ألغيت كل مواعيد أحاديثي العامة لعدة أسابيع وفي غضون تلك الفترة يجب أن نتمكن من إكمال هذا الكتاب . مع سرعة تطور الأمور هذه الأيام من السهل أن يصبح ما يقال أو ما يفعل اليوم غير ذي بال بغروب شمس ذلك اليوم نفسه . مالكوم إكس ».

أجهدت نفسي حتى يغدو الفصل الأول في شكل صالح للمراجعة . وعندما أصبحت مسودته مقروءة اتصلت به هاتفيا . فأتاني بسرعة وفي وقت لا يتعدى ما تستغرقه السيارة من منزله لمكاني – مما جعلني أرى ما يقاسيه من البقاء خاملا في المنزل ولمعرفتي بمزاجه كنت متعاطفا مع الأخت بتي .

أنهمك مستغرقاً في قراءة صفحات المخطوطة بانتشاء في البداية ثم أخرج قلمه الأحمر وبدأ يؤشر به على الورق وهو يعيد قراءة الفصل وأحيانا يضغط به على جملة أو كلمة . هتف : لا نقول :« أبارك الله » وغيرها إلى « أثني عليه » . في مكان آخر يشير الفصل فيه إليه وإلى أخواته وأخوانه ، شطبها بالأحمر ووضع مكانها « نحن الأطفال » وهتف بصوت عال « الأطفال ».

بعد ذلك بفترة وجيزة سافر مالكوم وأسرته بالطائرة إلى ميامي بدعوة من كاسياس كلاي وكهدية من الأخير بمناسبة عيد زواجهم السادس قبلوها بشكر جميل فقد كانت أول إجازة لبتي بعد ست سنوات من النظام الصارم كزوجة لمسلم أسود وبالنسبة لمالكوم كانت حفظا لماء الوجه وشيئا ينشغل به .

حالما وصل إلى هنالك بعث لي برقية بها رقم هاتف غرفته في الفندق . اتصلت به فقال لي ، « أريد أن أدلك على شيء. لم أعد من المراهنين وإذا كنت ستراهن فأنصحك بأن تراهن على فوز كاسياس على لستون وستكسب » ضحكت وقلت له أنه منحاز فأجاب : « تذكر ما قلته لك عندما تنتهي المباراة . » وصلتني منه بعد ذلك بطاقة بريدية عليها صورة قرد حية الألوان في غابة الشمبانزي بفلوريدا وقد

كتب على جانبها الآخر : « مائة سنة بعد الحرب الأهلية وهاهي القردة تجد اهتماما وحرية في أمريكا أكثر مما يجد أهلونا . أخوك ، مالكوم إكس » بعد ذلك بفترة وصلني منه خطاب مظرف وجدت بداخله قصاصة من جريدة صن - تايمز عليها عمود إرف كوبسنت في شيكاجو وقد وضع مالكوم خطا بقلمه الأحمر حول جملة تقول : « العالمون ببواطن الأمور يتوقعون انشقاقا وسط المسلمين السود قد ينشئ مالكوم إكس ، الرجل الثاني في المنظمة ، بمقتضاه جماعة تعارض إلايْجا محمد » . وقد كتب مالكوم بجانبها « تخيل ذلك ! ».

في الليلة التي خيب فيها كاسياس توقعات الكثيرين وهزم لستون اتصل بي مالكوم إكس هاتفيا وأصوات جلبة فرح تسمع وراء صوته ليخبرني أن حفل الانتصار يقام في جناحه بالفندق ووصف لي ما يحدث كما ذكر أسماء بعض الحاضرين وأخبرني أن ملك الوزن الثقيل الجديد كان في الغرفة المجاورة ، غرفة نوم مالكوم ، وقد راح في إغفاءة صغيرة . بعد أن ذكرني مالكوم إكس بتنبؤاته قال لي أن علي أن أتطلع لأن « يصبح كاسياس شخصية عالمية مهمة . لا أدري أن كنت تدرك المعنى العالمي لكون هذا أول بطل مسلم » .

في صباح اليوم التالي أعلن كاسياس كلاي في مؤتمره الصحفي الأخبار التي حملتها الصحف بعناوين بارزة من أنه فعلا « مسلم أسود » وبعد ذلك حملت الصحف صور مالكوم إكس وهو يقدم بطل الملاكمة للوزن الثقيل إلى مختلف الدبلوماسيين الأفارقة في ردهات رئاسة الأمم المتحدة بنيويورك . أخذ مالكوم إكس كاسياس كلاي في جولة حول هارلم و أماكن أخرى على أنه في حد قوله « صديق و مرشد ديني » لكلاي .

في ذلك الوقت كنت قد انتقلت إلى صعيد ولاية نيويورك لاكمال العمل في الكتاب وكنا نتحادث هاتفيا كل ثلاثة أو أربعة أيام . قال لي أشياء توحي بأنه قد لا يعود لمركزه السابق وسط المسلمين السود ثم بدأ يقول أشياء بها انتقادات خفية لإلايْجا محمد . طلبت مني مجلة بلاي بوي أن أجري مقابلة مع كاسياس كلاي البطل الجديد وعندما طلبت من مالكوم بثقة أن ينظم لي مقابلة مع كاسياس ، رد مالكوم :« أعتقد أنه من المستحسن أن تسأل شخصا آخر » ، الشيء الذي أدهشني ولكنني تعلمت ألا أصر عليه ليقول كل شيء . ثم وصلتني بعد ذلك بمدة وجيزة جدا رسالة مكتوبة منه تقول : « عزيزي اليكس هيلي ، هذه مذكرة سريعة . هل لك في أن تعد خطابا مكتوبا بعناية يمكنني من أن أغير فقرة في العقد بحيث تذهب عائدات الكتاب إلى مؤسسة المسجد الإسلامي أو ، في حالة وفاتي ، إلى زوجتي مباشرة ، مسز بتي إكس لتل . وكلما تم ذلك بسرعة كلما زاد

اطمئناني ». تحت إمضاء مالكوم إكس ، كتب : « ملحوظة : كيف يمكن أن يكتب الإنسان سيرته الذاتية في عالم يتغير بمثل هذه السرعة ؟ » .

لم يمض زمن طويل قبل أن أقرأ في الصحف المختلفة عن إشاعات سُمعت بتهديدات على حياة مالكوم إكس ثم ظهر مقال في صحيفة **أمستردام نيوز** عنوانه « مالكوم إكس يحكي عن تهديد بالموت. » تقول القصة أن بعض رفاقه السابقين في مسجد نيويورك قد أرسلو « فرقة خاصة » لتحاول « قتلي عمدا وعن سبق الترصد . ولكني والحمد لله ، سمعت عن الخطة من نفس الأشخاص الذين أرسلوا لقتلي . هؤلاء الأخوة كثيرًا ما سمعوني و أنا أمثل مستر محمد وأدافع عنه الشيء الذي صعب عليهم معه أن يصدقوا الأكاذيب عني من غير أن يستوضحوا مني بعض الأشياء ».

اتصلت بمالكوم إكس هاتفياً معبراً عن قلقي الشخصي عليه . أتاني صوته منهكا وأكد لي مرة أخرى أن أكثر ما يهمه الآن هو أن تذهب كل عائداته من الكتاب رأسا إلى منظمته الجديدة أو إلى زوجته مثلما حدد في الخطاب الذي وقعه وأرسله لي . أضاف أيضا :« إنني مدرك أن علي أن أكتب وأوثق وصية باسمي . لم أكتب واحدة في السابق لأنه لم يكن عندي ما أوصى به لأحد ولكنني إذا حدث لي شيء الآن بدون أن تكون عندي وصية فقد يحدث ما لا تحمد عقباه . » عبرت له عن قلقي بشأنه فطمأنني بأن لديه بندقية معبأة في المنزل و أن « بإمكاني الاعتناء بأمر نفسي ».

مؤسسة المسجد الإسلامي التي أشار إليها مالكوم إكس كانت منظمة جديدة أنشأها هو وكانت تتكون حينها من حوالي أربعين أو خمسين مسلما من الذين هجروا قيادة إلايْجا محمد .

من خلال أحد رجال كاسياس كلاي المقربين الذين اقترحهم علي مالكوم إكس في النهاية ، تم ترتيب موعد لمقابلتي الصحفية مع بطل الملاكمة للوزن الثقيل لتنشر في مجلة **بلاي بوي** فركبت الطائرة لمدينة نيويورك . أخبرتني الأخت بتي على الهاتف بلهجة جافة أن مالكوم إكس خارج المدينة لفترة قصيرة . تحدثت مع سيدة من المسلمات السود كنت أعرفها قبل دخولها في الجماعة وهي من المعجبات بمالكوم إكس لكنها اختارت البقاء مع جماعة إلايْجا ، « لكن دعني أقول لك ، أيها الأخ ، ما يقوله الكثيرون داخل المسجد . الأمر شبيه بطلاق الزوج إذ أن الشريكة السابقة تتمنى دائما أن تراه من حين لآخر». خلال المقابلة الصحفية مع كاسياس كلاي في جناحه ذي الثلاث غرف في فندق تيريزا بهارلم ، كان من المحتم أن تتعرض الأسئلة لعضوية كلاي مع المسلمين ثم لاستفسار عما حدث

لعلاقته السابقة الحميمة مع مالكوم إكس . أجاب بصراحة قائلا : « كيف لشخص أن ينتقد مستر محمد ثم يتوقع ألا يحدث له شيء . وأنا لا أحب أن أخوض في هذا الموضوع على أية حال » .

حدثني أحد الأشخاص من حاشية كاسياس كلاي إن إلايْجا محمد في رئاسته في شيكاجو كان ينفعل عاطفيا في أي مرة يذكر فيها اسم مالكوم إكس في حضوره ويروي أنه قال ، « الأخ مالكوم غدا شخصية كبيرة . أنا الذي جعلت منه شيئا وكنت أنوي أن أخلق منه رجلا عظيما » المسلمون السود المخلصون لإلايجا محمد تنبأوا بأن المنشقين من المسجد رقم سبعة الذين انضموا لمالكوم سينقلبون عليه بعد حين . «سيشعرون أنه هجرهم » ، وفي قول آخرين ، « لعنة الله ستحل على المنافق . » في رواية ثانية يقال أن مستر إلايْجا محمد قال : « مالكوم يحطم نفسه » ، وأنه ليست لديه أية رغبة في أن يراه ميتا و أنه « يفضل أن يراه يعيش حتى يتعذب ».

أما الشعور العام بين الهارلميين من غير المسلمين الذين تحدثت إليهم فقد كان أن مالكوم شخصية قوية وذات نفوذ كاف لشق عضوية المسجد إلى فريقين متحاربين وأن تحكم إلايْجا محمد الذي لا يجادل فيه ، سينتهي ، على الأقل في مدينة نيويورك .

رجع مالكوم إكس وقال أنه كان في بوسطن وفيلادلفيا و أصبح يقضي معي وقتاً كافيًا أثناء ساعات النهار في الغرفة رقم ١٩٣٦ بفندق أمريكانا . فارقته راحة البال القديمة وأصبح ينتفض فجأة من آن لآخر ويسير نحو الباب ثم يفتحه وينظر خارجه يمينا ويسارا ثم يوصده ويعود وكأنما ذلك شيء عادي . قال مرة على سبيل التوضيح : « ستكون معجزة لو نشر هذا الكتاب و أنا ما زلت حيًّا . لا أقول ذلك بانزعاج ولكنني أقوله تقريريا مثل قولي هذه ملاءة » قال ذلك وهو يلمس جانب الملاءة على السرير .

صرح لي لأول مرة بتفصيل ما حدث وقال أن تصريحه عند اغتيال الرئيس كندي ليس سببًا في إخراجه من الجماعة . « ذلك لم يكن السبب على الإطلاق فلقد أدليت بتصريحات أشد من ذلك قبلا ولم يعترض أي شخص . السبب الحقيقي هو الغيرة في شيكاجو و اعتراضي على الممارسات غير الأخلاقية من الرجل الذي يدعي أنه أكثر أخلاقية من أي إنسان » .

أخبرني مالكوم إكس أنه شخصيا ضاعف عضوية أمة الإسلام من أربعمائة إلى أربعين ألف . « لا أعتقد أنه كان هنالك أكثر من ٤٠٠ عضو في كل أرجاء القطر عندما انضممت . حقا لا أظن ذلك ، وجلهم كانوا من المتقدمين في السن وكثير

منهم لم يكن يستطيع نطق اسم مستر محمد صحيحا بينما ظل هو في المؤخرة أغلب الوقت».

حاول مالكوم إكس جهده ألا يبدو عليه الاستياء الذي يعتمل داخله . ليس هنالك شيء مخيف أكثر من الجهل وهو يتحرك . غوته » ، ذلك ما خربشه في أحد الأيام . لمح مرتين إلى كاسياس كلاي أثناء الحديث فكنت أسرد عليه بعض القصص من المقابلة الصحفية التي أجريتها مع كلاي و أخيرا سألني عن ما قاله كلاي عنه . أخرجت الورقة التي عليها الأسئلة مطبوعة وإجابات كلاي مكتوبة باليد وناولته إياها فحملق فيها برهة ثم نظر من النافذة ونهض و تمشى في الغرفة وكانت تلك أول مرة يفضح فيها صوته عمق جرحه إذ قال : « لقد كنت أشعر وكأني أخوه الأكبر. » توقف ثم أضاف ، « لست ضده الآن فهو شاب ممتاز وذكي لكنه تركهم يلعبون به ويقودونه إلى الضلال ».

في مرة ثانية هناك في غرفتي بالفندق رأيته وعيناه تكادان تدمعان وتلك كانت المرة الأولى التي أراه فيها كذلك وهي أيضا المرة الوحيدة التي يتلفظ فيها بكلمة معينة في وصف قومه . كان يتحدث عن كيف كان يعمل بدون كلل في بناء منظمة المسلمين في الأيام الأولى عند نقله إلى مدينة نيويورك ثم هتف فجأة بصوت أجش : « كانت لدينا أحسن منظمة تملكها الرجل الأسود في تاريخه – فحطمها النيجرز» .

بعد عدة أيام من ذلك على أية حال كتب في مفكرته شيئا سمح لي بقراءته يقول : « على الكبار أن يتعلموا درساً من الأطفال وهو ألا يخجلوا من الفشل ، بل عليهم أن ينهضوا ويحاولوا ثانية. أغلبنا نحن الكبار خائفون وحريصون على السلامة و لذلك نضمحل ونتجمد ونخاف وذلك سبب فشل كثير من البشر. أغلب البالغين متوسطي العمر وطدوا أنفسهم على قبول الفشل » .

الاتصالات الهاتفية بمالكوم إكس كانت تتواتر عندما يكون معي بالغرفة وأحيانا كان هو الذي يبادر بالاتصال وكان دائما يتحدث بصوت حذر خفيض مما يجعل عدم رغبته في متابعتي لحديثه واضحة . أصبحت أتظاهر بالذهاب للحمام موصدًا الباب من خلفي لأخرج وأعود فقط حينما أشعر أن همهمة صوته قد توقفت حتى أجعله يسترخي بعض الشيء في حديثه الهاتفي . بعد ذلك بمدة أخبرني أنه سمع بعض المسلمين الذين ما زالوا ظاهريا يتبعون إلايْجا محمد . ذكر لي مرة بعد إحدى تلك المحادثات الهاتفية ، « أنني رجل مستهدف . لقد اتصل بي بعض من يحتلون مناصب مهمة ينصحوني بالحذر في كل خطوة أخطوها . » فكر بعض الشيء ثم أضاف ، « طالما لا يمس أسرتي أي أذى فليت خائفا لنفسي . » كان لدى انطباع بأن

مالكوم سمع سلفا أن منظمة المسلمين تنوي أن ترفع ضده دعوى لإخلاء المسكن الذي يقيم فيه مع أسرته .

صار القلق ينتابني من أن مالكوم مع شعوره بالمرارة التي يعاني منها سيطلب مني مراجعة الفصول التي يحكي فيها عن أيامه مع المسلمين السود لإعادة كتابتها بشكل ما . أثرت معه الموضوع وما ينتابني من قلق حوله قبل أن أغادر مدينة نيويورك قاصدًا صعيد الولاية فكان رد مالكوم كالاتي : « لقد فكرت في ذلك الموضوع . هنالك أشياء كثيرة مرت بذهني حتى عندما كنت أحكي لك في البداية يمكنني أن أقولها ، أشياء سمعتها وشاهدتها ولكنني طردتها من ذهني . سأترك كل شيء على ما رويته لك لأنني أريد للكتاب أن يظهر بالطريقة التي هو عليها الآن ».

فجأة وفي ٢٦ مارس ١٩٦٤ وصلتني مذكرة من مالكوم إكس تفيد ، « هنالك احتمال بقيامي برحلة سريعة إلى عدة بلدان مهمة في أفريقيا وأن تشمل رحلتي أيضا الحج إلى مدينة مكة المكرمة و المدينة ابتداء من يوم ١٣ أبريل . أبق هذا سرًا . » وهو في الخارج أرسل مالكوم إكس خطابات وبطاقات بريدية إلى كل من يعرفه تقريبا وكان يوقعها بـ « الحاج مالك الشباز ».

ثم اتصلت بي فجأة الأخت بتي هاتفيًا في منتصف مايو والفرح في صوتها لتقول : مالكوم إكس في طريقه للعودة ، فركبت أنا الطائرة إلى مدينة نيويورك . وفي يوم ٢١ مايو رن جرس الهاتف في غرفتي بالفندق ورفعته لأسمع صوت الأخت بتي : «دقيقة ، من فضلك » ، ثم أتاني صوت عميق ليقول : « كيف حالك ؟ » « حسن ! الحاج مالك الشباز ! كيف حالك أنت ؟ » أجاب « مجرد إعياء بسيط » وصل على طائرة البان أميركان في الرابعة و النصف و سيواجه مؤتمرًا صحفيًا في السابعة مساء في فندق تيريزا . « سألتقيك في الساعة ٦:٣٠ عند تقاطع شارع لينوكس مع الجادة ١٢٥ في الجانب الذاهب لأعلى المدينة -هل يوافقك ذلك؟ » .

عندما وقفت السيارة الأولزموبيل الزرقاء و دخلتها كان الحاج مالك الشباز مشرق الوجه وهو يرتدي بذلة قطنية مخططة و يبدو علي شعره انه يحتاج لزيارة الحلاق كما أنه صارت له لحية . الأخت بتي كانت داخل العربة أيضا . كانت تلك أول مرة أقابلها فيها بعد أكثر من عام من الحديث هاتفياً عدة مرات في الأسبوع . ابتسمنا لبعض . كانت تضع نظارة سوداء و ترتدي زي الحوامل و في أحشائها ما سيصبح طفلها الرابع .

كان هنالك على الأقل خمسون مصور تلفازي وعادي و المراسلون الصحفيون

يتزاحمون للاقتراب من المنصة و بقية القاعة الزرقاء ملأى بالزنوج من أتباع مالكوم إكس ومحبيه والفضوليين . عامت الغرفة في الأضواء ووميض الكاميرات حينما دخل مالكوم برفقة الأخت بتي و يدها تمسك بذراعه في حنان و ابتسامة كبيرة على وجهها فخورة بأن ذلك الرجل كان زوجها . تعرفت الى م.س.هاندلر من صحيفة التايمز و قدمت له نفسي فشددنا على أيدي بعضنا بحرارة و اخترنا طاولة صغيرة جلسنا عليها . الصحفيون كانوا مازالو يتزاحمون في شكل نصف دائرة حول مالكوم إكس الجالس على المنصة وهم يصوبون الأسئلة نحوه وهو يبدو وإنما كل خبرة أعوامه الاثني عشرة الخطابية إنما هي تحضير لصورته الجديدة ؟

« هل نفهم من حديثك أنك لم تعد تعتقد أن كل البيض أشرار ؟ ».

« حقاً سيدي. رحلتي إلى مكة فتحت عيوني و لم أعد أؤمن بالعنصرية . لقد عدلت من تفكيري الى الدرجة التي أعتقد فيها أن البيض بشر » وقفة قصيرة أتبعها بالآتي ، « طالما انعكس ذلك في موقف إنساني نحو الزنوج ».

ركز الصحفيون على صورته العامة كعنصري فرد عليهم « لست بعنصري ولا أدين البيض لمجرد أنهم بيض و لكني أدينهم لأفعالهم . أنني أدين البيض كمجموعة لما فعلوه لقومي كمجموعة ».

كان يبتسم باستمرار و تضيء وجهه تلك البسمة الصبيانية الرضية و يلمس اللحية الحمراء الجديدة بيديه - سألوه عنها و هل ينوي الاحتفاظ بها فأجاب بأنه لم يقرر بعد و سينتظر ليرى إذا كان سيعتاد عليها أم لا . هل يحاول الآن الانضمام إلى كبار زعماء الحقوق المدنية الذين هاجمهم بحرارة في السابق ؟ رد بإجابة عائمة : « دعوني أشرح ذلك بالآتي ، إذا كان بعض الرجال داخل سيارة متجهة إلى وجهة معينة واتضح لك أنهم سائرون في اتجاه خاطئ و لكنهم مقتنعون أنهم يسيرون في الاتجاه الصحيح فتركب معهم و تسير العربة و تتبادلون الحديث في الطريق . وأخيرا عندما يصلون نهاية الطريق و يكتشفون خطأهم وأن الطريق الذي سلكوه لا يقودهم إلى حيث يريدون ، هنا تكلمهم و سيصغون إليك حينها و أنت تدلهم على الطريق الصحيح » كان في أحسن حالاته و أحسن كثيرا من ذي قبل و هو يزن الأمور و يقارع بالحجج و يجيب على الأسئلة.

بجانبي كان محرر التايمز ، هاندلر ، يسجل بعض النقاط و يردد لنفسه: « هذا لا يصدق! لا يصدق! » و نفس الفكرة كانت تحوم في ذهني . مرت في ذهني خاطرة فحواها أننا لو رمينا حصاة من النافذة خلف مالكوم إكس لوقعت من الطابق الثامن على الرصيف في نفس النقطة التي كان مالكوم يبيع عندها المخدرات قبل سنوات .

بعد أن عدت إلى صعيد نيويورك لمواصلة الكتابة كانت تصلني منه مذكرة من آن لآخر . « أرجو أن يكون الكتاب سائرًا بخطى حثيثة لأن الحوادث التي تمر بها حياتي تتسارع للدرجة التي معها يصبح ما يكتب الآن شيئا غير ذي بال بعد شهر من كتابته وفي هذه الحياه لا شيء يدوم ، حتى الحياة نفسها لا تدوم (ابتسم!) . لذا فإني أنصحك بأن تستعجل إخراج هذا الكتاب بأسرع ما يمكن » في مرة أخرى وصلتني منه بالبريد المستعجل رسالة بها نبرة انزعاج مني : وصلته رسالة من الناشر تشير إلى أنه استلم صكا بمبلغ ٢٥٠٠ دولار عند توقيع عقد الكتاب « ولذلك يفترض على أن أدفع الضرائب المستحقة على ذلك المبلغ علما بأنني كنت قد حددت مكررا في ذلك الحين أن كل تلك المدفوعات تكتب باسم و ترسل إلى المسجد . حقيقة الأمر أنني لم أر ذلك الصك حتى اليوم. »

سوى ذلك الأمر ثم أرسلت لمالكوم إكس بعض الفصول ليقرأها . روعت عندما أعادها في فترة وجيزة والقلم الأحمر على أماكن كثيرة في الجزء الذي يحكي فيه عن العلاقة الأبوية التي كانت بينه وبين إلايجا محمد . اتصلت به هاتفيا و ذكرته بوعده السابق و أكدت له أن وضع إشارات في الفصول لما سيحدث في الفصول التالية يضر بالكتاب و يزيل عنصر التشوق المتراكم من بنائه الدرامي . أجاب مالكوم إكس بفظاظة: « كتاب من هذا؟ » فرددت عليه « كتابك طبعا » وأنني أثرت ذلك الاعتراض من وجهة نظري ككاتب . أخيرا قال انه سيفكر في ذلك . كنت منزعجا جدا من احتمال إعادة تحرير الكتاب ليصبح كله مجرد هجوم على إلايجا محمد إلا أن مالكوم غكس اتصل بي هاتفيا في أواخر تلك الليلة ليقول لي: « أنا متأسف و أنت على حق . لقد كنت متضايقاً من شيء ما فأنس ما أردت تغييره و دع الكتاب على حالته التي وضعتها أنت » بعد ذلك لم أعطه أبدًا فصولا للمراجعة إلا حينما نكون سويا و في عدة مرات كنت أراقبه وهو يقرأ و تعابير وجهه تتجهم و تجفل أثناء القراءة إلا انه لم يطلب تعديل أي شيء ذكره أصلا . الجزء الوحيد الذي أشعرني أنه يتمنى أن لو كان مختلفاً عما حدث أشار إليه و هو يقرأ في الفصل الرابع « لورا » قال : « كانت فتاة ذكية و طيبة . حاولت جهدها أن تجعل مني شيئًا وانظر ما قادتها أفعالي إليه – البغاء و المخدرات . لقد حطمت تلك الفتاة » .

كان مالكوم مشغولا ، مشغولا ، مشغولا و لم يعد بإمكانه التردد على غرفتي في الفندق كثيرا وعندما يفعل كانت الغرفة تتحول بسرعة إلى ما يشبه محطة جراند سنترال في نيويورك . كان إما يتلقى محادثة من شخص أو يتصل بشخص آخر أو يحاول الاتصال بثالث وهو يراجع مفكرته الجاهزة دائما . أصبح

يتحدث كثيرًا مع أناس مختلفين من الشرق الأوسط وأفريقيا الذين كانوا في نيويورك . بعضهم كان يحضر لزيارته في الفندق . وأحيانا كنت أجلس بقرب النافذة منهمكا في القراءة بينما يتحدث هو مع زواره عند الباب في صوت خفيض . كان يعتذر لي عند حدوث ذلك ولكنني أخبرته أن ليس لدي حساسية ضد ذلك ثم صرت بعدها أخرج إلى الممر أو أنزل بالمصعد إلى ردهة الفندق حيث أبقى أراقب المصعد إلى أن يخرج الضيف ثم أعود . أذكر أن الهاتف في أحد الأيام كان يرن بانتظام ويتصل به مراسلون من شبكات التلفاز القومية الثلاث وكا صحف نيويورك **والديلي إكسبرس** من لندن وأفراد متعددون ولم نتمكن مع كل ذلك من إنجاز أي شيء للكتاب . فجأة دخل طاقم مصوري تلفاز وملأوا الحجرة لتسجيل حديث مع مالكوم إكس يقدمه بيل بوتيل المعلق الإذاعي المعروف لشبكة تلفاز إيه بي سي «شركة الإذاعة الأمريكية » وبينما الطاقم يرتب آلات تصويره وأضوائه الكاشفة في متكاها اتصلت محطة إذاعية من دايتون بولاية أوهايو تطلب عمل مقابلة إذاعية مع مالكوم إكس بواسطة الهاتف فأمرني أن أبلغهم بأن يتصلوا به هاتفيا في اليوم التالي عند أخته إيللا في بوسطن – اتصل بعد ذلك وزير الإعلام الغاني فاستدرت نحو مالكوم بمذكرة عن ذلك حينما وجدت المعلق بيل بوتيل يقول لمالكوم إكس : « لن آخذ كثيرا من وقتك وكل ما لدي هو بعض الأسئلة الغبية » وهو ينظر إلى مذكرتي الممدودة أجاب مالكوم: « الأسئلة الغبية فقط هي تلك التي لم تسأل » .

ثم أضاف قائلا لي: « قل لهم أنني سأتصل بهم » وما إن بدأت آلات التصوير التلفازي تعمل وبوتيل ومالكوم إكس يتكلمان ، إلا أن رن جرس الهاتف مرة ثانية وهذه المرة كان المتكلم مارك كراوفورد مراسل مجلة **لايف** فوشوشت له بما يحدث فما كان منه إلا أن طلب بدون تردد أن توضع سماعة الهاتف قريبا من المتحدثين حتى يسمع ما يقال . فانصعت لذلك مسرورا بأنني بتلك الطريقة لن أدع أحدًا يقاطع المقابلة التلفازية .

المخطوطة التي أعطيتها لمالكوم لمراجعتها كانت في صورة أحسن الآن وانكب على قراءتها صفحة صفحة بانهماك وهو يرفع رأسه بين الفينة و الأخرى ليقول بعض التعليق . قال مرة: « أتدري أن السبب في أن لي بعض الفاعلية هو أنني أدرس نقاط الضعف في هذا البلد وكلما عوى الرجل الأبيض كلما أدركت أنني أصبت منه وترًا حساسًا » في مرة أخرى وضع المخطوطة التي كان يقرأها على السرير ثم نهض من مقعده وتمشى في الغرفة جيئة وذهابًا وهو يمسح لحيته نظر لي ثم قال : «أتدري أنني في ذلك الفصل من الكتاب الذي أخبرتك فيه كيف وضعت المسدس

على صدغي وظللت أضغط على الزناد حتى أدخلت الروع في قلوبهم عندما كنت أنظم عصابة للسرقة – حسنا » توقف ثم أضاف « لا أدري إن كان علي أن أكلمك بهذا أم لا ، لكنني أود أن أصارحك بالحقيقة . » نظر إلي في فضول ثم قال : « لقد أخفقيت الرصاصة في راحة يدي » علقت بقولي : «حسنا ، أعطني هذه الصفحة وسأعدلها لك » فكر برهة ثم قال : « لا ، دعها كما هي . كثيرون سيقولون بسرعة أن ذلك ما أفعله الآن ، الخداع ».

في مرة أخرى عندما كان يراجع الفصل الذي يتحدث فيه عن إكتشافه لمكتبة السجن ، رفع مالكوم إكس رأسه فجأة : « لن أنسى ما حييت ذلك الأردفاك » في الأمسية التالية حضر إلى غرفتي و أخبرني أنه ذهب إلى متحف التاريخ الطبيعي «وتعلمت شيئا عن ذلك الحيوان . آردفاك حقيقة تعني خنزير الأرض . ذلك مثل جيد على جذور الكلمات كما كنت أقول لك وعندما تدرس علم الفيلولوجيا فسترى القوانين التي تتحكم في كيفية فقدان الحرف الساكن لشكله الأصلي مع احتفاظه بهويته من لغة لأخرى » ما أدهشني هو أنني كنت أعرف أن يومه كان مزدحما بما فيه ظهوره على التلفاز ومحادثة اذاعية ثم محاضرة مفتوحة ومع ذلك وجد الوقت ليذهب ويتعلم شيئا عن حيوان الأردفاك .

لم يمض وقت طويل حتى دعا مالكوم إكس إلى مؤتمر صحفي أعلن فيه : «منظمتي الجديدة ، منظمة الوحدة الأفرو أمريكية هي مجموعة لا دينية ولا حزبية تهدف إلى توحيد الأفرو – أمريكيين حول برنامج بناء لتحقيق الحقوق الإنسانية . من لهجته بدى أن المنظمة الجديدة هي منظمة للقومية السوداء النشطة . أجاب على أسئلة الصحفيين المختلفة في مقابلات تالية بأن المنظمة الجديدة تسعى إلى تحويل السكان الزنوج من اللاعنف إلى الدفاع الإيجابي عن النفس ضد العنصريين البيض في كل أرجاء أمريكا. فيما يختص بموقفه السياسي فقد كان غامضا إذ قال: «لا يهم استخدام الاقتراع أو الرصاص ، المهم أن تصوب جيدًا ، لا تصوب نحو الألعوبة بل نحو من خلفها . » هل يتصور مجالا خاصا لنشاطه ؟ « سأنضم للكفاح في أي مكان يطلب الزنوج فيه إقدامي » ، ماذا عن التحالف مع المنظمات الزنجية الأخرى ؟ أجاب بأنه سينظر في تكوين جبهة متحدة مع بعض زعماء الزنوج المختارين . سلم عند سؤاله بأن « المنظمة القومية لتقدم الملونين » تقوم « ببعض الأعمال الجيدة » هل يستطيع أي أبيض الانضمام إلى منظمة الوحدة الأفرو – أمريكية ؟ « إذا كان جون براون مازال حيا ، ربما سمحنا له . » أجاب على بعض نقاده بتصريحات مثل أنه سيرسل « رجال حرب عصابات مسلحين إلى ولاية ميسيسبي » ، « إنني جاد جدًا في ذلك . وسنرسلهم ليس إلى ميسيسيبي فحسب بل

إلى أي مكان يهدد فيه العنصريون البيض حياة السود ، وفيما أرى ، ميسيسيبي هي أي مكان جنوب الحدود الكندية » في وقت آخر حينما طلبت منه ايفيلن كنغهام وهي نصف هازلة « قل شيئا مثيرا لأكتبه في عمودي » ، أجابها :«على كل من يريد أن يتبعني ويتبع تحركاتي أن يكون مستعداً لأن يذهب إلى السجن ، إلى المستشفى وإلى القبر قبل أن يكون حرا بحق . » طبعت أيفيلن ذلك في عمودها معلقة ، « ضحك وابتسم ولكنه كان جادا كل الجد . »

ولد طفله الرابع وهو ابنة اخرى فاسمتها الأخت بتي جميلة لومبا . احدى النادلات الشابات في نادي هارلم رقم اثنين وعشرين الذي صار المكان الذي يطلب فيه من الناس مقابلته ، وتدعى هيلين لانيير ،أهدته مفرشًا للوليد الجديد . لمست تلك اللفتة أوتار قلبه فقال ، « لم ! إنني لا أعرف اسمها حتى ».

بدا عليه الانزعاج بوضوح عندما أظهر استطلاع لزنوج مدينة نيويورك نشرته صحيفة نيويورك تايمز أن ثلاثة أرباعهم يرون أن دكتور مارتن لوثر كنج هو أحسن من يخدم قضيتهم ، بينما صوت خمسهم لمستر روي ويلكنز ، الأمين العام للمنظمة القومية لتقدم الملونين ، وصوت ست بالمائة منهم فقط لصالح مالكوم إكس . قال لي بعد ذلك : « أتعرف يا أخ أن بعض أعظم عظماء التاريخ لم يعترف قومهم بفضلهم إلا بعد أن تواروا في الثري آمنين ».

في صباح أحد أيام صيف عام ١٩٦٤ إتصل بي مالكوم هاتفيا ليخبرني أنه سيغادر خلال اليومين أو ثلاثة الأيام القادمة إلى رحلة مخططة لقضاء ستة أسابيع بالخارج . أول ما سمعت منه بعد ذلك كان من القاهرة في حوالي الوقت الذي بلغ فيه « الصيف الطويل اللاهب » الذي تنبأ به ، أشده وعمت حوادث الشغب والانتفاضات ضواحي فيلادلفيا وروتشستر ، بروكلين وهارلم وعدة مدن أخرى . كتبت صحيفة نيويورك تايمز أن اجتماعا للمثقفين الزنوج اتفق أن مارتن لوثر كنج يستحوذ على ولاء الطبقات العليا والوسطى بين الزنوج لكن مالكوم هو الوحيد الذي تدين له جماهير الطبقات الدنيا بالولاء . « يجل الزنوج الدكتور كنج ومالكوم إكس لأنهم يرون فيهما رجالا ذوي كرامة مطلقة ويعلمون أنهما لن يخوناهم أبدًا . مالكوم إكس لا يمكن شراؤه والزنوج يدركون ذلك ويحترمونه لذلك . أنهم أيضا يدركون كون أنه مثلهم ، أتى من الحضيض ويعتبرونه واحداً منهم . سيلعب مالكوم إكس دورًا عظيمًا لأن الصراع العنصري بدأ يتحول نحو مدن الشمال . . . وإذا كان دكتور كنج مقتنعًا أنه ضحى بعشر سنوات من القيادة الملهمة فإنه سيضطر الآن لمراجعة أفكاره . هنالك اتجاه واحد يمكنه التحرك نحوه ، وهو اتجاه مالكوم إكس » قطعت تلك القصاصة من الصحيفة وأرسلتها

لمالكوم إكس في القاهرة .

في واشنطن د . س . وفي مدينة نيويورك على الأقل كانت هنالك عدة منظمات أهلية ومدنية خاصة ذات نفوذ ووكالات حكومية وأفراد آخرون متشوقون ومتربصون لمعرفة ما يقوله مالكوم إكس في الخارج ويتساءلون عما يمكن أن يقوله ويفعله عندما يعود إلى أمريكا . وأنا في صعيد نيويورك وصلتني مكالمة هاتفية من صديق حميم أخبرني أنهم طلبوا إليه أن يسألني إن كان بإمكاني الحضور في يوم معين إلى مدينة نيويورك لمقابلة « مسؤول كبير جداً في الحكومة » يود أن يعرف شيئا عن مالكوم إكس . ركبت الطائرة إلى المدينة واصطحبني صديق إلى مكاتب واحدة من كبرى المؤسسات الخيرية الخاصة المشهورة بنشاطها واسهامها المالي في مجال الحقوق المدنية . قابلت رئيس تلك المنظمة الذي قدمني إلى رئيس دائرة الحقوق المدنية بوزارة العدل الأمريكية ، بيرك مارشال ، وكان أكثر ما يهم بيرك هو أوضاع مالكوم إكس المالية خاصة كيف يمول سفره الدائب منذ أن ترك المسلمين السود . أجبته أن هنالك طبقاً لمعلوماتي ، عدة دفعات من الناشر تموله بالإضافة إلى الرسوم التي يتقاضاها من بعض محاضراته العامة وربما بعض التبرعات التي وصلت إلى منظمته ، وأنه أخبرني أنه اقترض مالا من أخته إلا لرحلته الحالية ، كما أن مجلة **ساتردي إيفننج بوست** اشترت حديثًا حق نشر ملخصات للكتاب بمبلغ محترم سيستلمه بعد قليل . أصغى مارشال لي بهدوء واهتمام ثم سألني بعض الأسئلة التي تختص بجوانب عن حياة مالكوم إكس ثم شكرني . كتبت إلى مالكوم إكس وهو في القاهرة في تلك الليلة عن تلك المقابلة لكنه لم يذكرها لي أبدا .

سافر مصور مجلة **ساترداي ايفننج بوست** جون لونوي إلى القاهرة ليبحث عن مالكوم إكس ويلتقط له بعض الصور الملونة وفي ١٢ سبتمبر ظهر العدد الجديد من المجلة فارسلت نسخة منه بالبريد الجوي إلى مالكوم إكس . بعد ايام قليلة من ذلك وصلتني منه مذكرة جارحة تعبر عن غضبه من محرري المجلة لما كتبوه في مقدمة قصة حياته . (كانت الافتتاحية كالتالي ، « لو لم يكن مالكوم إكس زنجيًا لكانت سيرته الذاتية لا تعدو أكثر من مفكرات في علم النفس الغريب ، قصة حياة لص ، بائع مخدرات ، مدمن وخريج سجون – مع جنون موروث في عائلته – يدعي رسالة أوهام تبشيرية وينطلق يدعو إلى دين مقلوب عن العداء – الأخوي . » كتبت لمالكوم أنه ليس من العدل أن يحملني مسؤولية ما يكتبه محررو المجلة في تعليق منفصل – كتب معتذرا « لكن علينا أن نكون أكثر حرصًا في المستقبل . »

عودته من أفريقيا كانت مبشرة أكثر حتى من عودته من الحج . ظل عدد

كبير من أتباعه الزنوج و المهنئون يتوافدون في مبنى الركاب الخارجي في مطار كندي وعندما دخلت أنا ، رأيت عددًا من البيض يحملون آلات التصوير في الطابق الثاني يلتقطون صور كل الزنوج الذين يدخلون كما أن عددًا من الشرطة السرية الزنوج بالملابس العادية كانوا واضحين للعيان وهم يتحركون حول المكان . وضع مستقبلو مالكوم إكس لافتات كبيرة من القماش على الحائط الزجاجي المواجه لنقطة الجمارك مكتوب عليها بخط واضح « مرحبا بعودتك ، يا مالكوم » ، ثم ظهر مالكوم وهو يتقدم في صف الجمارك وعندما سمع الهتافات والتحيات نظر نحو الجمهور ثم ابتسم في سعادة .

أراد مالكوم أن يجتمع بي ليكلمني عن بعض تفاصيل رحلته التي يريد لها أن تُضمَّن في الكتاب وأخبرني أنه سيعطيني الخطوط العريضة فقط لأنه يرى أن ما تحويه مفكرته ، التي كان يسجل عليها الأحداث يوميا ، كاف لعمل كتاب آخر . قضينا جلسات مكثفة في غرفتي بالفندق حيث قرأ لي مختارات من مفكرته بينما سجلت أنا بعض الملاحظات . قال: « ما أريد أن أؤكد عليه هو محاولتي لتدويل مشكلتنا ، أن أجعل الأفارقة يشعرون بقرابتهم منا نحن الأفرو أمريكيين ، لقد جعلتهم يفكرون في الأمر ، في قرابة الدم التي تربطنا وبأننا كلينا أتينا من نفس الجدود . لذلك أحبني الأفارقة مثلما أحبني الآسيويون لديني ».

في الأيام التالية لم أعد أراه كثيرًا لازدحام وقته . كان يتصل معتذرًا إذ أنه كان يجابه عقبات بعضها ذكره وبعضها سمعته من آخرين . كان هنالك عدم رضا داخل منظمته ، منظمة الوحدة الأفر أمريكية فبقاؤه خارج البلاد مدة طولها ثلاثة أضعاف ما قال أنه سيبقى ،هز الروح المعنوية لبعض أعضاء المنظمة الأساسيين وكان هنالك شعور عام بينهم أن اهتمامه بالمنظمة غير كاف ولا يتوقع معه أن يظل اهتمام الآخرين عاليا.سمعت من أحد الأعضاء أن هنالك قلقًا متزايدًا يمكن تحسسه في المنظمة.

في هارلم عامة ،في الحانات والمطاعم، في أركان الشوارع والأرصفة بدأنا نسمع انتقادات صريحة لمالكوم لم يسبق أن قيل مثلها من قبل على الإطلاق.كان هنالك أساسا انتقادان عُبر عنها بطرق مختلفة أولهما هو أن كل ما يفعله مالكوم هو الكلام بينما منظمات الحقوق المدنية تعمل « كل ما يفعله هو مجرد الحديث بينما منظمات كورو إسْنِك وبعض رجال دكتور كنج في الخطوط الأمامية يتلقون الضربات على رؤوسهم . الانتقاد الثاني هو أن مالكوم نفسه أصبح مشوش الفكر للدرجة التي يصعب معه أتباعه بجدية » أنه لا يدري ما يؤمن به وما أن تسمع أنه أمن بشيء ما ،ألا وقد تحول إلى شيء آخر.« هذه الانتقادات أضرت بصورة الزعيم الناري

ولم تساعده في توليد الاهتمام والإثارة محليًا ،وذلك ما تحتاجه منظمته الصغيرة الوليدة بشدة.

حكمت أحد المحاكم حكمًا بائنًا أن على مالكوم وعائلته أخلاء ذلك المنزل في المهيرست وإعادته لمن رأت المحكمة أنهم أصحابه قانونا ، إلايجا محمد وجماعته.ومن بين مشاكل مالكوم الملحة الأخرى كانت المادة، كان عليه الإنفاق على نفسه وعلى موظف متفرغ للمنظمة بالإضافة إلى أسرة من زوجة و أربع طفلات.عند عودته من أفريقيا سلمني وكيل الناشر صكا بمبلغ محترم لأسلمه بدوري لمالكوم إكس،وبعد ذلك بأيام قليلة أخبرني مالكوم وهو يضحك باشمئزاز « لقد تبخر.لا أدري في ماذا!»

بدأ مالكوم يغرق في النشاطات المختلفة.كان يكتب بنفسه أو يتصل هاتفيا لقبول عشرات الدعوات المحلية للحديث أكثرها في الجامعات والكليات -وذلك لنشر وتوضيح فلسفته ولاكتساب بعض المال حيث يتلقى ما بين ١٥٠ الى ٣٠٠ دولار فوق تكاليف السفر لكل محاضرة وعندما يكون بمدينة نيويورك كان يقضي جل وقته في مكتب منظمة الوحدة الأفرو أمريكية القليل الأثاث في طابق الميزانين في فندق تيريزا محاولا حل مشاكل المنظمة المعقدة.سأله مراسل فتهرب من الإجابة قائلا :« لن أكشف لكم عن عدد أعضاء منظمتنا.وكما تعلم جذور الشجرة هي أقوى ما فيها ولكنك إذا كشفت عن الجذور ،ستموت الشجرة.ولم لا؟إن لنا أعضاء سريين من كل الأنواع.وخلافا للزعماء الآخرين فلقد تمرست على المرونة التي جعلتني على صلة مع كل زنجي في هذا البلد».

وحتى في أوقات تناول الوجبات في ناديه المفضل في هارلم، نادي اثنين وعشرين، أو في أي مكان أخر في هارلم لم يكن ليجد الوقت ليكمل وجبة من فرط أعداد الناس الذين يأتون اليه لمناقشته في موضوع ما قد يتصل بأشياء شخصية أو لمعرفة رأيه في بعض الشئون العالمية ولم يكن ديدنه رفض أي طلب.مساعدوه الذين تبرعوا بوقتهم كانوا يجدون أن عليهم الانتظار لفترات طويلة قبل أن يتمكنوا من مناقشته في أي أمور تهم منظمة الوحدة الأفرو أمريكية أو تهمه شخصيًا ومع ذلك كثيرًا ما أبدى ضيقا كغير عهده من أسئلتهم أو اقتراحاتهم وظهر عليهم الاستياء من ذلك. مرة في الأسبوع على الأقل ، في أمسيات الآحاد عامة كان يخاطب عددا من الزنوج بقدر ما تأتي به الأفيشات الصغيرة أو من يبلغهم الخبر شفهيا، للاستماع إليه في قاعة أودوبون في هارلم في الجادة ١٦٦ ما بين شارع برودواي وشارع سانت نيكولاس بالقرب من مركز جامعة كولمبيا الطبي المشيخي المشهور في مدينة نيويورك.

لسبب ما بدأ مالكوم إكس فجأة يصب هجومه على الإيجا محمد ويلقي باتهامات مرة عن« الخداع الديني» و «اللاأخلاقية» أكثر مما فعل في السابق.يحتمل أنه بدأ يستاء بشدة من قرب موعداخلائه الجبري هو وزوجه وطفلاته الأربع الصغيرات للمنزل المريح الذين أقاموا فيه عدة سنوات في المهيرست علما بأن الأخت بتي كانت حبلى لمرة أخرى.«البيت كان الشيء الوحيد الذي هيأته لبتي منذ أن تزوجنا ، والآن يريدون أخذه منا. لقد عرضتها لتغيرات كثيرة وذلك كل ما قدمته لها.ينبغي على أن أحب تلك المرأة ». ذلك كان تعليقه ذات مرة على أمر المحكمة.

تواترت هاتفيا سلسلة من التهديدات بالموت من مجهولين للشرطة ولصحف مختلفة ولمكتب منظمة الوحدة الأفرو أمريكية ولبيت الأسرة في المهيرست وعندما ذهب للمحكمة ليستأنف الحكم صحبة ثمانية من رجال المنظمة وعشرون رجل شرطة واثنا عشر شرطة سرية.إلا أن قرار المحكمة كان أن الحكم لا يمكن تغييره وعندما عاد الى المنزل اتصل به أحد أتباعه ليجد رسالة مسجلة على الهاتف تقول أن الرقم ٦٣٢٠ - ٢٥٦ قد قطعت عنه الخدمات. عندها ركبت مجموعة من أتباع منظمته إلى لونج أيلاند وهم يسابقون الريح خوفا عليه ليجدوا أن مالكوم وأسرته كانوا في سلام تام.وعند سؤال شركة الهاتف اتضح أن امرأة تدعى «مسز سمول» قد اتصلت بشركة الهاتف تطلب منها إيقاف الخدمات الهاتفية لذلك الرقم لأن صاحبه سيكون في أجازة.عاد بعد ذلك أتباع منظمة الوحدة الأفرو أمريكية إلى هارلم وحدثت مواجهة بينهم وبين أتباع إلايجا محمد أمام مطعم للمسلمين السود بين جادة ١١٦ وشارع لينوكس وانتهى الحادث بحضور الشرطة الذين أسرعوا إلى المكان ووجدوا بندقيتين في عربة منظمة الوحدة الأفرو أمريكية واعتقلوا رجال المنظمة الست.

كان لدى مالكوم إكس ميعاد للحديث في بوسطن وبما أنه كان مشغولا جدا فقد أرسل أحد مساعديه الذي تكلم في مكانه إلا أن عربة أخرى اعترضت عربة المساعد في الطريق وهو عائد من بوسطن.على حسب الرواية هرع رجال خارجين من العربة المعترضة يحملون مدى إلا أن رجال مالكوم إكس شهروا سلاحا ناريا فهرب المهاجمون.

أصبح مالكوم يشير بأصابع الاتهام وبانتظام نحو المسلمين السود كمصدر للتهديدات والمهاجمات الوختلفة. « ليست هنالك مجموعة أخرى في الولايات المتحدة أكثر قدرة على تنفيذ تهديداتها من المسلمين السود وأنا أعي ذلك لأني درستهم بنفسي » وعند سؤاله لماذا هاجم المسلمين السود و إلايجا محمد عندما بدأ أن الأمورقد هدأت أجاب «لم أكن لأكشف عن ذلك إذا تركوني لحالي.» كما أنه

ترك المصورين يصورونه أمام منزله وهو يحمل بندقية كارباين آلية ملأى بعدد مضاعف من الرصاص قائلا :إنها جاهزة للإطلاق ضد أي محاولة اغتيال محتملة، «لقد علمت زوجتي استخدامها وأمرتها بأن تطلق النار على كل من يحاول الدخول عنوة أبيض أم أسود كان أم أصفر».

رجعت إلى مدينة نيويورك في ديسمبر حتى يتسنى لمالكوم قراءة الإضافات الأخيرة للمخطوطة بعد إضافة أخر التطورات. بدا لي بعيدا جدا عن حالة الاطمئنان والثقة بالنفس التي عهدتها فيه قبلا وظل يردد أن الصحافة لا تأخذ تصريحاته عن التهديد لحياته مأخذ الجد. « إنهم يظنون أنني أتلاعب بالكلمات » أخرج تعليق مجلة ساترداي ايفننج بوست مرة أخرى وقال« لا يمكن الثقة بأصحاب دور النشر ولا يهمني ما يقولونه لك ». أرسل وكيل الكتاب إليَّ في الفندق عقدًا جديدًا يختص بالنشر والتوزيع في الخارج يتطلب توقيعي وتوقيع مالكوم إكس.وقعته ومالكوم يراقبني ثم ناولته القلم فنظر إلى العقد متشككا ثم قال: « ينبغي أن أُري ذلك العقد لمحاميي أولا ، ثم وضعه داخل جيب معطفه. وبينما هو يقود السيارة بعد ساعة من ذلك ، إذا به يعطل السيارة فجأة عند منتصف الجادة ١٢ بالقرب من مبنى جماعة الشباب المسيحي ثم أخرج العقد ووقع عليه ورماه لي قائلا : « غنني أثق بك » ، ثم واصل السير.

مع اقتراب عيد الميلاد وامتثالا لخاطرة اشتريت لطفلتي مالكوم إكس الكبيرتين عروستين كبيرتين لونهما بني ومن النوع الذي يمشي حينما تمسك بيدها اليسرى ، وعندما حضر إليَّ في غرفتي في فندق ولنجتون بادرته قائلا « عندي لك شيء لتأخذه لأتيلا وقبيلة كهدية عيد الميلاد » ثم أخرجت العروستان تمشيان .اندهش وأشرق وجهه بابتسامة عريضة ثم قال: «حسنا ، ماذا تعرف عن ذلك، حسنا ، ماذا عن ذلك! » تقدم وفحص اللعبتين والتعبير الذي على وجهه ينم عن سعادة مست أوتار قلبه. بعد هنيهة « لست أفخر بما أقول ولكني لا أذكر أنني اشتريت أية هدايا لأطفالي قط. كل لعبة لديهم أما أحضرتها لهم بتي أو أعطاها لهم شخص آخر إلا أنا. ذلك ليس جميلا مني وأنا أدرك ذلك. لقد كنت دائما مشغولا أكثر من اللازم ».

في أوائل يناير طرت من صعيد ولاية نيويورك لمصر كندي حيث اتصلت هاتفيا بمالكوم إكس في منزله لأخبره أنني بانتظار طائرة أخرى لتقلني إلى مدينة كانساس وذلك لحضور مراسم أداء القسم لأخي الذي أُنتخب في مجلس شيوخ ولاية كانساس .أوصاني مالكوم بأن أذكّر أخي ، « قل لأخيك أن يتذكر وهو في الطريق إلى ذلك أنه هو وكل المعتدلين الزنوج ما وصولوا إلى مثل هذه المراتب إلا

بسببنا نحن المتطرفين » طلب مني أيضا أن أخابره هاتفياً عندما أعرف ميعاد عودتي إلى نيويورك وأنه إذا تمكن فلربما قضينا بعض الوقت سويا. فعلت ذلك فقابلني في مطار كندي ولم يكن أمامه الكثير من الوقت إذ أنه كما قال كان عليه المغادرة بعد ظهر ذلك اليوم لإلقاء محاضرة في مكان ما ولذلك حجزت على أول طائرة ذاهبة إلى الصعيد ثم خرجنا وجلسنا نتحادث داخل عربته في الموقف. حدثني عن الضغوط التي تواجهه أينما اتجه وعن الإحباط الذي يعانيه ومن بينها إلا أحد على استعداد للتعامل معه إلا على أساس صورته القديمة عن « العنف » و « الكراهية » ، وأن من يسمون « بالمعتدلين » في منظمات الحقوق المدنية يتفادونه على أساس أنه « متطرف » بينما من يسمو ن « بالمتطرفين » يتفادونه على أساس أنه معتدل أكثر مما يجب « إنهم لن يدعونني أميز وجهتي فأنا في مأزق ».

من الجانب السعيد تحدثنا عن وليده المتوقع وضحكنا عن قدوم أربع بنات واحدة إثر الأخرى و« القادم هذا سيكون ولدًا » أشرق وجهه ثم أردف « وإذا لم يكن ، فالذي بعده » وعندما ذكرت أن ميعاد طائرتي قد قرب أجاب بأنه سيتحرك أيضا فودعته قائلا: « أحسن التحايا للأخت بتي » فقال أنه سيبلغها ذلك ثم شددنا على أيدي بعضنا البعض وخرجت من العربة ووقفت أراقبه وهو يقود الأولزومبيل الزرقاء خارج موقف العربات. هتفت «أرجو أن أراك! » لوحنا لبعضنا وقد بدأ يقود السيارة بعيدًا. لم يكن يدر بخلدي أبدًا أن تلك ستكون آخر مرة أراه فيها حيًا.

في ١٩ يناير ظهر مالكوم إكس في برنامج تلفازي في كندا يقدمه بيير بيرتون وقال في استجابة لسؤال عن الاندماج والزواج المختلط :

« إنني أؤمن بقبول كل إنسان كبشر بدون اعتبار لكونه أبيض أو أسود ، أسمر أم أحمر وعندما تنظر إلى البشرية ككل فليس هنالك ما يمنع الاندماج أو الزواج المختلط.كل ما في الأمر أن إنسان ما تزوج من إنسان ما آخر أو إنسان يعيش بين أو مع آخرين -ومع ذلك فإنني أقول أن عبء الدفاع عن هذا الموقف أو ذاك ليس على الرجل الأسود ويجب ألا يطلب منه تبرير موقفه لأن الرجل الأبيض في مجموعه هو الذي يعادي الاندماج والزواج المختلط وكل خطوة نحو الوحدة. لذا وبصفتي رجلا أسود ، وبخاصة أمريكيًا أسود ، لا أعتقد أن على الدفاع عن أي موقف اتخذته في السابق لأنه لم يكن إلا رد فعل لموقف الرجل الأبيض وما زال كذلك ، رد فعل قاد إليه المجتمع. وإذا كنا سنهاجم وننتقد علينا أن نهاجم المجتمع الذي قاد إلى ذلك وليس المواقف التي يتخذها ضحايا ذلك المجتمع السلبي».

مع هذا يمكن القول أن مالكوم ، قبل شهر من وفاته،قد راجع رؤيته للزواج المختلط إلى حد الاعتبار أنها مجرد مسألة شخصية.

في ٢٨ يناير كان مالكوم على ظهر طائرة خطوط تي.دبليو.ايه سفرية رقم ٩ التي غادرت نيويورك لتهبط في لوس أنجلوس الساعة الثالثة بعد الظهر.وقفت فرقة شرطة خاصة على بعد بينما استقبله اثنان من أصدقائه المخلصين، غدوارد برادلي وألان جمال ثم صحباه على عربة أحدهما إلى فندق ستاتلر هيلتون حيث تسجل مالكوم إكس فس غرفة رقم ١١٢٩.أخبرني برادلي بعد ذلك ، « ونحن ندخل ردهة الفندق أتى خلفنا ستة رجال فتعرفت إليهم كمسلمين سود وعندما عاد مالكوم إكس للردهة من غرفته كاد أن يرتطم جسديًا بمجموعة المسلمين. ذهل المسلمون وعندما تجمد وجه مالكوم إكس لكنه لم يفقد أعصابه أبدًا فتأكد لنا أننا سنواجه مصاعب » صديقا مالكوم أخذاه لإحضار اثنين من سكرتيرات إلايْجا محمد السابقات اللتين كانتا قد رفعتا دعوة أبوة ضد إلايْجا محمد ثم ذهب الجميع إلى مكتب المحامية اللامعة ، جلاديس روث ، قالت مسز روث إن مالكوم إكس وجه اتهامات عن سلوك إلايْجا محمد مع مختلف سكرتيراته السابقات.

بعد العشاء ساقه صديقاه الاثنان عائدين به إلى الفندق . « المسلمون السود كانوا في كل مكان . بعضهم داخل عربات وبعضهم واقف حول الفندق الذي كان محاطا تماما بهم. نظر مالكوم حوله وتحقق من الوضع ثم قفز خارجًا من السيارة وحذرني أن أراقب حولي ثم هرول إلى ردهة الفندق. هنالك دخل غرفته ولم يغادرها إلا وهو في الطريق إلى المطار خارجاً من لوس أنجلس» تلك كانت رواية ادوارد برادلي.

العربة التي ركبها مالكوم إكس من الفندق إلى المطار كانت تحت الرقابة كما قال برادلي :« لم نكد نصل طريق السفر السريع إلا ورأينا سيارتين ملأى بالمسلمين السود تتعقباننا. بدأت السيارتان تقتربان منا فالتقط مالكوم عصاتي ووضع مؤخرتها في النافذة الخلفية لتبدو وكأنها بندقية فأبطأت السيارتان وزدنا من سرعة سيارتنا ثم خرجنا عند المنفذ المؤدي للمطار وأسرعنا إلى مقدمة مبنى الركاب. هنالك كانت الشرطة في انتظارنا فاصطحبت مالكوم إلى الطائرة من خلال ممر أرضي وودعته هنالك ».

عندما هبطت الطائرة في مطار شيكاجو أوهير في الثامنة من مساء تلك الليلة كانت الشرطة في الانتظار فاصطحبت مالكوم إلى فندق بريستول حيث نزل مالكوم وشغلت الشرطة الجناح الذي بجانبه حيث وضعته تحت حمايتها لمدة ثلاثة أيام قضاها في شيكاجو.أدلى مالكوم بشهادته في مكتب المدعي العام لولاية الينوي الذي كان يجري تحريات عن أمة الإسلام في يوم آخر ظهر على التلفاز في برنامج ارف كوبسنت حيث وصف محاولات اغتياله كما ذكر أنه وجد على

مكتبه خطابا فيه أسماء من سيقومون بمهمة قتله. وعندما أعاد البوليس مالكوم إلى الفندق « كان هنالك حوالي ١٥ زنجيا متجهمي الوجوه يتحاومون حول المبنى.همس مالكوم في أذن الملازم المخبر ، إدوارد ماكلان « كل هؤلاء مسلمون سود ، اثنان منهم على الأقل أعرفهم من نيويورك. يبدو أن الإيْجا محمد على علم بكل خطوة أخطوها». داخل غرفته قال للمخبر بعد ذلك ، « إنها مسألة وقت قبل أن يلحقوا بي لأني أعرف كثيرًا من أسرار المسلمين إلا أن التهديدات لن تثنيني عن القيام بما أنا مصمم عليه». بعد تلك الليلة اصطحبت الشرطة مالكوم إكس إلى مطار اوهير حيث ركب الطائرة الى مطار كندي في مدينة نيويورك.

بعد وصوله مباشرة وصله أمر قضائي بإخلاء منزله في المهيرست. اتصل بي في صعيد الولاية والتوتر في صوته وأخبرني أنه قدم استئناف لذلك الحكم وأنه ذاهب في اليوم التالي لولاية ألباما ثم إلى فرنسا وانجلترا بعد ذلك لإلقاء أحاديث تحدد ميعادها مسبقا وبعد أن يعود سيذهب إلى مدينة جاكسون بولاية ميسيسبي لمخاطبة حزب الحرية الديمقراطي في الولاية في التاسع عشر من فبراير. بعد ذلك أباح لي لأول مرة معترفا بحالته النفسية « أن أعصابي هالكة يا هيلي ، وعقلي مرهق» ثم أخبرني أنه يود بعد عودته من ميسيسبي أن يحضر ويقضي معي يومين أو ثلاثة في المدينة التي أنا فيها ويقرأ فيها مخطوطة الكتاب مرة أخرى. « تخبرني أنها بلدة هادئة. كل ما أحتاجه هو قضاء بضعة أيام في مكان هادئ ». أجبته مرحبا إلا أنني أفدته بأنه ليست هنالك من حاجة لأن يرهق نفسه بقراءة كل المخطوطة مرة ثانية إذ أنني لم أضف إلا تعديلات طفيفة منذ أن قرأها آخر مرة. رد عليَّ بقوله ، « إنني أريد فقط أن أقرأها مرة إضافية إذ أنني لا أتوقع أن أقرأ الكتاب في شكله النهائي. » عند ذلك اتفقنا مبدئيًا على أنه بعد عودته من ميسيسبي سيسافر إلى صعيد ولاية نيويورك لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معي والتاريخ المتوقع لذلك سيكون يومي السبت والأحد، ٢١ -٢٢ من فبراير.

سجلت مجلة جت رحلة مالكوم إلى مدينة سلما بولاية الباما مدعوا من اثنين من أعضاء اللجنة الطلابية لتنسيق اللاعنف « إسْنِك » كان دكتور مارتن لوثر كنج حينها سجيناً في سجن سلما مما اضطرب معه مسئولو منظمة دكتور كنج «مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية » .تقابل مديرها التنفيذي الأب أندرو يونج « ممثل أمريكا في الأمم المتحدة في عهد الرئيس جيمي كارتر بعد ذلك » ، تقابل هو والأب جيمس بيفيل مع مالكوم وطلبا منه إلا يثير المتاعب وحذراه أن وجوده قد يتسبب في العنف. أصغى إليهما وهو يبتسم طبقاً لرواية مس فاي بلامي سكرتير منظمة أسنك ، التي اصطحبته إلى إحدى الكنائس حيث سيخاطب اجتماعاً جماهيرياً .قال لها

«تذكري هذا: لا أحد يضع كلمات في فمي » وأخبرها بأنه يخطط ليقوم برحلة جنوبية في حملة لتجنيد أعضاء جدد لمنظمة الوحدة الأفرو أمريكية التي قاعدتها هارلم. داخل الكنيسة التي سيتحدث فيها جلس مالكوم خلف المنصة بجانب مسز مارتن لوثر كنج ومال نحوها هامساً « إنني أحاول المساعدة » كما روت لمجلة جت بعد ذلك. « قال أنه يود أن يقدم بديلا وأنه سيكون من السهل على البيض تقبل مقترحات مارتن بعد أن يسمعوا منه مالكوم إكس. «لم أفهم ذلك في البداية «روت مسز كنج» كان يبدو متلهفاً نوعاً ما لإبلاغ مارتن أنه مالكوم لا بسبب المشاكل أو يعقد الأمور بل يحاول تيسيرها....أعاد ذلك على مسامعي ونحن في الممر بعد المحاضرة وكان يبدو عليه الإخلاص ».

يقال أن مالكوم ، في أثناء مخاطبته لذلك الجمهور هتف بحدة : « إنني لا أدعو إلى العنف ولكن إذا داس رجل على قدمي.فسأدوس أنا على قدميه »... « على البيض أن يسروا بأن مارتن لوثر كنج يستنفر الناس لأن هنالك قوى أخرى في الانتظار وعلى استعداد أن تحل محله إذا ما فشل ».

عاد مالكوم إلى نيويورك ثم سافر بعد فترة وجيزة من ذلك إلى فرنسا حيث كان مخططا له مخاطبة مؤتمر الطلبة الأفارقة هنالك.في باريس أبلغته السلطات رسميا أنه لن يسمح له بالكلام هنالك كما أبلغوه أن عليه أن يعتبر نفسه ممنوعاً رسميًا وإلى الأبد من دخول فرنسا « كشخص غير مرغوب فيه. » طلبوا إليه مغادرة فرنسا ففعل وهو يغلي من الغضب. طار إلي لندن وهنالك أخذه بعض مذيعي هيئة الإذاعة البريطانية في جولة في مدينة سمثويك بالقرب من برمنجهام التي يقطنها عدد كبير من الملونين.أثار بعض السكان زوبعة متهمين هيئة الإذاعة البريطانية بأنها طرف في إثارة القلاقل العنصرية في مدينة تعاني سلفاً من القلاقل العنصرية. في زيارته إلى لندن تلك تحدث مالكوم أيضا في كلية جامعة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية.

عاد مالكوم إلى مدينة نيويورك في صباح السبت الثالث عشر من فبراير وكان نائمًا في بيته مع أسرته عندما استيقظ في الثالثة إلا ربع من صباح الأحد على صوت انفجار رهيب. أخبرتني الأخت بتي لاحقاً أن مالكوم إكس استيقظ وهو يصرخ بالأوامر ثم خطف أطفاله الباكين المذعورين وأخرج أسرته كلها للأمان في الحديقة الخلفية للدار. رمى أحدهم بزجاجة مولوتوف مشتعلة من النافذة الأمامية واستغرق رجال المطافئ ساعة قبل أن يقضوا على النار. احترق نصف المنزل الذي لم يكن مؤمناً عليه من مالكوم.

حبلى وفي غم أخذت بتي الطفلات الأربع إلى منزل صديق حميم للعائلة

بينما حزم مالكوم من أمر نفسه وركب طائرة إلي ديترويت للقيام بحديث صباحي خطط له من قبل. كان يرتدي كنزة صوفية مفتوحة الرقبة تحت سترته. بعد الحديث طار مباشرة عائدا إلى نيويرك وفي صباح الاثنين، وهو في زحمة التخطيط لإعادة إسكان عائلته، هاج مالكوم غضبا عندما علم أن جيمس إكس، منيستر مسجد الإيجا محمد رقم سبعة، زعم للصحافيين أن مالكوم رمى قنبلة المولوتوف في منزله ليلقى بعض الدعاية.

في مساء الاثنين تحدث مالكوم الى جمهور في قاعة أودوبون المألوفة وإذا كانت أعصابه الحديدية منعته في السابق من أن يضعف أمام الجمهور إلا أنه هذه المرة هتف أمام خمسمائة مستمع: « لقد وصلت نهاية حبلي.لكني لن أهتم لنفسي إذا كانوا لن يؤذوا أسرتي » ثم أعلنها صريحة ولمح إلى الانتقام قائلا :« لقد حرق المسلمون السود بيتي ولكن فليعلموا! هنالك صيادون وهنالك من يتصيدون الصيادين».

في يوم الثلاثاء السادس عشر من فبراير اتصل بي مالكوم هاتفيا ليبلغني باختصار أن التعقيدات الناجمة عن إحراق منزله عبثت بخططه وأنه لذلك لن يستطيع زيارتي في صعيد ولاية نيويورك في عطلة نهاية الأسبوع كما وعد مسبقا وأنه ألغى أيضًا رحلته إلى مدينة جاكسون في ولاية ميسيسبي التي سيحاول القيام بها مستقبلا. أضاف بأنه على استعجال للوفاء بارتباط سابق ثم قفل الخط.قرأت لاحقًا بعد ذلك أنه ذكر لأحد أتباعه المقربين ، « لقد وسموني للموت في خمسة الأيام التالية ولدى أسماء خمسة مسلمين سود اختيروا لقتلي وسأعلن ذلك في المحاضرة. » باح مالكوم إكس لصديق أنه سيقدم طلبا للشرطة ليسمحوا له بحمل مسدس « لا أدري إن كانوا سيوافقون لي بحمل واحد أم لا ، إذ أنني دخلت السجن في السابق ».

في يوم الخميس قال لصحفي في مقابلة لم تنشر إلا بعد موته: « إن لدي الشجاعة الأدبية الكافية لأقول أنني لا أستطيع تحديد فلسفتي السياسية بدقة في الوقت الحالي، ولكنني مرن في ذلك ».

على السبورة في مكتب منظمة الوحدة الأفرو أمريكية إعلان للأعضاء والضيوف فحواه التالي: « سيتحدث الأخ مالكوم من محطة إذاعة دبليو.آي.إن.إس. في العاشرة والنصف مساء الخميس ١٨ فبراير ». قبل ذلك وفي أثناء الصباح ناقش مالكوم موضوع بيت لأسرته مع وكيل عقارات وفي يوم الجمعة كان لديه ارتباط مع غوردون باركز، المصور الصحفي والكاتب في مجلة **لايف** الذي كان مالكوم يحترمه ويعجب به. روى باركز لمجلة **لايف** بعد ذلك قائلا، « بدأ مالكوم هادئًا

ومتألقًا بعض الشيء بلحيته تلك وقبعته المصنوعة من فرو الحملان. بدا وكأن كثيرا من الحقد والمرارة قد زالا عنه لكن الثقة والنار ما زالتا فيه » قال مالكوم وهو يتحدث عن أيام المسجد رقم سبعة الخوالي : « ذلك كان منظراً سيئاً يا أخ. جنون ومرض تلك الأيام العليلة. إنني سعيد بتخلصي منها. هذا الوقت وقت الشهداء وإذا كان لي أن أصبح واحداً منهم، فسيكون ذلك من أجل التآخي. ذلكم هو الشيء الوحيد الذي سينقذ هذا البلد. لقد دفعت ثمناً غالياً لتعلم ذلك -ولكنني تعلمته.. » .

سأل باركز مالكوم هل حقيقة يتعقبه قتلة؟أجابه مالكوم « ذلك حق كحقيقة وجودك معي. لقد حاولوا ذلك مرتين في الأسبوعين المنصرمين. » وعندما سأله باركز لماذا لا يطلب حماية الشرطة ضحك مالكوم قائلا: « أخي، لا أحد يقدر على حمايتك من مسلم أسود الا مسلم -أو شخص تدرب على أساليبهم. أدرك ذلك لأنني اخترعت كثيرًا من أساليبهم ».

تحسر مالكوم إكس لباركز وهو يتذكر حادثة الفتاة الجامعية البيضاء التي حضرت له في مطعم المسلمين السود وهي تسأل « ماذا يمكنني أن أفعل؟ » وكيف أنه أجابها : « لا شيء » فذهبت باكية: « حسنا، لقد عشت وندمت على ذلك. في كثير من بلدان أفريقيا رأيت طلاباً بيضاً يساعدون السود ومثل ذلك الشيء يدحض أي حجة. لقد فعلت أشياء كثيرة كمسلم أسود أندم عليها الآن. لقد كنت مثل الزومبي -ككل المسلمين السود -كنت منوما مغناطيسيا أروني اتجاهًا معينًا وطلبوا مني السير فيه.حسنًا، أعتقد أنه من حق الإنسان أن يعمه في الجهالة إذا كان على استعداد لدفع الثمن. لقد كلفني ذلك اثنى عشر سنة ».

في صباح السبت قاد سيارته ومعه الأخت بتي ليقابلا وكيل العقار.المنزل الذي آراهم له الوكيل والذي أعجب مالكوم إكس كان يقع في حي أغلب سكانه من اليهود وفي لونج أيلاند أيضا ويتطلب مقدما قيمته ثلاثة آلاف دولار. بتي أشارت بموافقتها أيضا فأخبر مالكوم وكيل العقار بأنهم سيشترون المنزل ثم عادا وفي الطريق إلى بيت صديقهم الذي تنزل فيه بتي مع الأطفال، قدروا أنهم سيحتاجون إلى ألف دولار أخرى للانتقال. بقى مالكوم مع الأخت بتي في منزل ذينك الأصدقاء إلى ما بعد منتصف الظهر وهو يبادلها الحديث.قال لها أنه يدرك أنها تعيش تحت ضغوط شديدة ومطولة وأنه يعتذر عن كل ذلك وعندما أخذ قبعته وهو خارج في طريقه إلى مانهاتن (حي في نيويورك) وقف في منتصف الصالة وقال للأخت بتي : «سنكون كلنا معا. أريد لأسرتي أن تبقى معي فالأسر يجب ألا تفترق . لن أقوم برحلة طويلة بعد اليوم بدونك وسنجد شخصًا يعتني بالأطفال في غيابنا. لن أبرحك

لمدة طويلة مرة ثانية على الإطلاق ».

« لم أتمالك نفسي من السعادة فانفجرت ضاحكة » ، حكت لي ذلك الأخت بتي لاحقاً.

خمنت بتي أن مالكوم قد توقف عند متجر بقال ليستخدم الهاتف عندما أخبرتها أن مالكوم اتصل بي في صعيد ولاية نيويورك في حوالي الثالثة والنصف من ظهر نفس اليوم ولأول مرة في غضون عامين لم أدرك توًّا أن الصوت في الجانب الآخر كان صوت مالكوم. كان وكأنما ألمت به نزلة برد شديدة ثقيلة. أخبرني أن بعض الأصدقاء ساعدوا مندوبي شركة ترحيل عند منتصف الليل لإخراج كل أثاثهم وما تبقى من ممتلكات أسرته خارج المنزل القديم ووضعوها على الرصيف. « أنا وبتي كنا نعاين منزلا نرغب بشرائه » حاول ضحكة خفيفة ثم واصل، « كما تدري لا أحد على استعداد لتأجير منزله هذه الأيام، ليس لي أنا. وكل ما عندي مائة وخمسون دولار »، وأنه يحتاج ثلاثة آلاف دولار تدفع مقدما زائداً ألف أخرى تكاليف الترحيل وسألني إن كان الناشر يمانع في منحه ٤٠٠٠دولار مقدما من أرباح الكتاب المتوقعة. أخبرته بأني سأتصل بالوكيل صباح الاثنين الذي بدوره سيستفسر من الناشر ليرى أن كان ذلك ممكنا وسأتصل به في مساء نفس اليوم لأعلمه بما جرى.

أعلمني أنه والأخت بتي إتفقا على تسجيل البيت باسم أخته إيللا في بوسطن علما أنهم سيدفعون أقساطه وذلك لنجنب المشاكل وأضاف أنه ما زال مدينا لأخته إيللا بمبلغ ١٥٠٠دولار أعارتها له لواحدة من رحلاته إلى الخارج وفي المستقبل سيكتبون البيت باسم بتي أو ربما باسم كبرى بناته، أتيلا.

بعد ذلك استدرك ليتحدث عن الأخطار المحدقة به « سأقول لك شيئا لو تدري أيها الأخ -كلما أفكر أكثر في هذا الموضوع ونوع الأشياء التي حدثت مؤخرا، لا أعود متأكدا أنها من المسلمين. أنني أعرف ما يقدرون وما لا يقدرون عليه وبعض الأشياء التي حدثت مؤخرا، ليس بمقدورهم فعلها.الآن سأقول لك أنني عندما أفكر فيما حدث لي في فرنسا، أفكر في التوقف عن اتهام المسلمين » ثم وفي تغيير فاجأني وغريب للموضوع ذكر ، « أتدري أنني سعيد بكوني أول من بدأ اتصالات رسمية بين الأفرو أمريكيين وإخواننا في الدم في أفريقيا » ودعني ووضع سماعة الهاتف.

بعد تلك المحادثة قاد مالكوم سيارته إلى مانهاتن وإلى فندق هلتون نيويورك بين الجادتين ٥٣ و٥٤ عند مركز روكفلر.أدخل عربته في موقف سيارات الفندق ثم طلع إلى ردهة الفندق يطلب غرفة وسُجل في الطابق الثاني عشر في غرفة اصطحبه إليها أحد الحمالين.بعد ذلك بفترة وجيزة دخل بعض الزنوج إلى ردهة الفندق الضخم المزدحمة وبدأوا يستفسرون من الحمالين عن رقم الغرفة التي يقيم فيها مالكوم

إكس.الحمالون طبعًا لا يجيبون على مثل تلك الأسئلة عن أي نزيل دعك من نزيل مثل مالكوم إكس الذي يعرف كل من يقرأ صحف نيويورك أنه تلقى تهديدات بالقتل ، ولذا أبلغ الحمالون إدارة الفندق بذلك بسرعة منذ تلك اللحظة وحتى اليوم التالي الذي غادر فيه مالكوم الفندق فرضت حراسة مشددة وعلى مدار الساعة على الطابق الثاني عشر. وفي غضون ذلك الوقت لم يترك مالكوم غرفته إلا مرة واحدة فقط وذلك لتناول طعام العشاء في الطابق الأرضي في غرفة بوربون ذات الضوء الخافت.

صباح الأحد التاسعة صباحا فوجئت الأخت بتي في لونج أيلاند عندما اتصل بها زوجها هاتفيا ليسألها أن كان سيشق عليها جعل كل أطفالهم يرتدون ملابسهم وأن تأتي بهم لمحاضرة الساعة الثانية من بعد ظهر نفس اليوم في قاعة أودبون في هارلم.أجابت: « بالطبع لا! » علما بأنه كان قد طلب منها يوم السبت ألا تحضر. قال لها :« أتدرين ما حدث قبل ساعة؟ في الساعة الثامنة بالضبط أيقظني رنين الهاتف وعندما رفعت السماعة سمعت صوت رجل يقول استيقظ أيها الأخ ثم أقفل الخط » . ودع مالكوم إكس زوجته ثم أقفل الخط.

بعد أربع ساعات من ذلك بالضبط ترك مالكوم غرفته ودخل المصعد لينزل إلى ردهة الفندق حيث راجع موظف الاستقبال خارجا من الفندق. ركب عربته وخرج بعيدا في منتصف يوم أحد دافئ يوافق الواحد والعشرين من فبراير وتحرك إلى أعلى المدينة قاصدًا قاعة أودوبون..

تقع قاعة أودوبون ما بين شارع برودواي وشارع سانت نيكولاس ، في الطرف الجنوبي غرب الجادة ١٦٦ وهي مبنى من طابقين كثيرًا ما يؤجر لحفلات الرقص واجتماعات المنظمات والأغراض المماثلة الأخرى. أخبرتني فتاة رشيقة سوداء مليحة تعمل موظفة استقبال وعضو نشط ومساعدة لمالكوم إكس في منظمة الوحدة الأفرو أمريكية ، أخبرتني أنها حضرت مبكرة ذلك اليوم في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر لأنه كان عليها عمل بعض الترتيبات الأولية للمحاضرة في طريقها لدخول القاعة لاحظت أن أربعمائة الكرسي الخشبية قد رصت بحيث لا يكون بينهما ممر في الوسط، فقط في الجنبين ، كما لاحظت تلك الشابة (التي ترغب في أن يبقى اسمها سرا) أن بعض الناس وصلوا مبكرين وجلسوا على المقاعد الأمامية لكنها لم تعر ذلك اهتماماً لعلمها أن بعض الناس دائما يأتون مبكرين ليجدوا مكانا في المقاعد الأمامية ليتشربوا إلى أقصى حد الحديث الدرامي للخطيب الذرب اللسان، مالكوم إكس. على المسرح وخلف منصة المتحدثين وضعت ثمانية مقاعد بنية اللون في صف واحد وخلفها حائط المسرح المطلي بصورة منظر الريف الهادئ . كان من بين مهام تلك الشابة لذلك اليوم

الاتصال بالمتحدث الآخر ثم تأكيد حضوره والمفترض على حسب الاتفاق أن يكون ذلك المتحدث الأب ميلتون جالاميسون وهو المشيخي من بروكلين الذي قاد في عام ١٩٦٤ مقاطعة الزنوج لمدارس مدينة نيويورك الحكومية لمدة يومين اعتراضا على « عدم توازنها عنصريا » .كان عليها أيضا الاتصال ببعض الزنوج المشهورين الذين كان عليهم الظهور لحث المستمعين ليتبرعوا بأكبر قدر ممكن لدعم العمل الذي يقوم به مالكوم ومنظمته.

لم يتم تفتيش الداخلين إلى القاعة عند الباب. في الأسابيع الأخيرة أصبح مالكوم ينزعج من ذلك قائلا :« إن ذلك يضايق الناس » ويذكره بإلايْجا محمد. قال ذات مرة بنزق : « إذا لم أجد الأمان عند قومي، فأين يمكنني أن أجده؟ » في ذلك اليوم أيضا أمر بمنع الصحفيين من الدخول ، بيضاً أو سوداً. كان مستاءًا مما أعتقد أنها معالجة صحفية معوجة لأقواله في الأيام الأخيرة وشعر بخاصة أن الصحف لم تأخذ تصريحاته الأخيرة عن الخطر المحدق حوله مأخذ الجد. سمح لمراسل يونايتدبرس الزنجي، ستانلي سكوت، بالدخول وأفهمه أحد مساعدي مالكوم : « سيسمح لك بالدخول كمواطن زنجي ولكن عليك إزالة شارة الصحافة. » نفس المنطق طبق على هيوسيمبسون من محطة إذاعة دبليو.ام.سي.إيه. وكلاهما كان قد حضر مبكرا بوقت كاف ليحصل على مقعد أمامي.

دخل مالكوم إكس القاعة قبل الساعة الثانية بقليل وهو يمشي متثاقلا كغير عادته كما قالت لي مساعدته الشابة وفي تلك اللحظة كان عدد من مساعديه يدخلون ويخرجون من غرفة صغيرة بجوار المسرح. جلس جانبا على مقعد ورجلاه الطويلتان ملتفتان حول قاعدة الكرسي ثم وضع إحدى ذراعيه بميلان على نضد أمام مرأة متداعية يستخدمها الممثلون أثناء حفلات الرقص. كان يرتدي بذلة داكنة اللون وقميصا أبيض مع ربطة عنق دقيقة وداكنة. كلم مجموعة صغيرة من مساعديه أنه لن يتكلم عن مشاكله الشخصية، « لا أريد أن يكون موضوع شخصي السبب في أن يأتي شخص ليسمعني». وقف على قدميه ودار حول الغرفة الصغيرة ثم أضاف أنه سيصرح بأنه تسرع في اتهام المسلمين السود بحرق منزله. «لقد حدثت أشياء منذ ذلك الحين أكبر مما يستطيعون فعله. أدرك حدود ما يقدرون عليه والأمور فاتت تلك الحدود » .

يستطيع من بداخل الغرفة الصغيرة سماع صوت الجمهور المتزايد وهم يأخذون مقاعدهم. قال مالكوم :« قلبي يحدثني بألا أتقدم نحو المسرح إطلاقاً اليوم. لكنني سألطف من هذا التوتر اليوم بأن أنصح الرجل الأسود ألا يحارب بعضه البعض. ذلك جزء من مخطط الرجل الأبيض، أن يجعلنا نتحارب فيما بيننا وضد بعضنا البعض.

لن أحارب أي شخص فذلك ليس ما أتيت من أجله » ظل ينظر في ساعة يده الفينة بعد الأخرى متوقعا وصول الأب جالاميسون.« في أي وقت تأخذين موعدا مع قسيس» قال موجها حديثه لمساعدته الشابة: « عليك إعادة الاتصال به قبل ساعتين أو ثلاثة من الموعد لأنهم سيغيرون رأيهم. تلك هي عادتهم ».

حدثتني السكرتيرة بعد ذلك قائلة: « شعرت باستياء وأنني السبب في تأخير وصول القس وها قد أزف وقت الحديث » .التفتت الشابة نحو مساعد مالكوم الطويل الضخم بنجامين إكس وهو متحدث مقتدر في ذاته وسألته « هل ستتكلم أيها الأخ؟ » - ثم التفتت نحو مالكوم :« هل سيكون من الخير أن ندعه يتحدث أولا وربما قدمك إلى الجمهور بعد ذلك؟ » اكفهر وجه مالكوم فجأة وصرخ فيها فجأة :« تدركين أنه لا ينبغي لك أن تسألين في حضوره! » ثم هدأ وقال : أوكي. سأله الأخ بنجامين عن طول الوقت الذي عليه أن يستغرقه فرد مالكوم وهو ينظر إلى ساعة يده «اجعلها نصف ساعة » خرج الأخ بنجامين من الباب المؤدي إلى المسرح وبعد مدة بدأ من بداخل الغرفة الصغيرة يسمعونه وهو يتكلم بدراية وخبرة محدثا الجمهور عما يحتاجه الرجل الأسود في هذه الولايات المتحدة اليوم .

بلغت الساعة الثالثة ولم يحضر بعد الأب جالاميسون والإعلام الآخرون. « بدأ الأخ مالكوم وقد خاب أمله » ، كما تروي المساعدة الشابة.« قال لي :لا أظن أنهم سيأتون فاستأت من أجله وشعرت وكأنما لا أحد يهتم.قلت له، «لا تقلق، مجرد تأخير وحتما سيحضرون إلى هنا ». (تقول إحدى الروايات من مصدر آخر أن الأب جالاميسون الذي لم يستطع الحضور اتصل فعلا مسبقا وأن مالكوم أخبر بذلك قبل نهوضه للحديث مباشرة).

انتهى الأخ بنجامين إكس بعد نصف ساعة وسمعته المساعدة الشابة ومالكوم إكس في الغرفة الصغيرة وهو يقدم خطيب الساعة « الآن وبدون تطويل أقدم لكم رجلا على استعداد ليضع نفسه تحت خدمتكم، رجلا على استعداد لأن يموت من أجلكم - أريد لكم أن تستمعوا وتصغوا وتتفهموا رجلا طروادي في عزمه من أجل الرجل الأسود! ».

علا التصفيق والهتاف من الجمهور وفي داخل الغرفة الصغيرة وقف مالكوم ثم استدار مواجها مساعدته الشابة قائلا: « أرجو أن تعذريني لصراخي في وجهك - أنني فقط متوتر الأعصاب ».

« أواه! انس ذلك فأنا أتفهم » ، ردت الشابة بسرعة. « أتعجب أن كان هنالك شخص يتفهم حقا ».قال ذلك بصوت وكأنه أت من بعيد ثم خرج إلى المسرح وسط

الهتاف والتصفيق وهو يبتسم ويؤمىء برأسه نحو الأخ بنجامين إكس الذي مر به في الطريق إلى الغرفة الجانبية.

بدأت الشابة في القيام ببعض الأعمال المكتبية عندما دخل بنجامين إكس وهو يتصبب عرقا فربتت على يده قائلة :« أحسنت! ». ومن خلال باب الغرفة الذي انفتح لتوه سمعا ،هي وبنجامين، صوت التصفيق ينخفض ثم التحية المألوفة الرنانة :« السلام عليكم، أيها الأخوة والأخوات » « عليكم سلام » رد بعض الجمهور التحية.

ثم حدث تشويش على بعد حوالي ثمانية صفوف وفي جلبة مفاجئة ارتفع صوت أحدهم عالياً وبغضب: « أخرج يدك من جيبي! » وهنا استدار كل الحاضرين ليروا ما يحدث.عند ذلك ناداهم مالكوم إكس بصوت واضح « عندك !توقف! لا تتهيج ودعونا نهدئ الموقف يا أخوان ».

مع انصراف انتباه مالكوم لتلك الجلبة هنالك احتمال بأنه لم ير الرجال المسلحين. وكما روت سيدة كانت جالسة في الصف الأمامي ، « الضجيج في المؤخرة شغلني للحظة وعندما أدرت رأسي لأنظر صوب مالكوم رأيت ثلاثة رجال في الصف الأمامي يقفون ويصوبون نحو مالكوم مطلقين النار في وقت واحد وكأنهم فرقة إعدام . .أناس كثيرون قالوا بعد ذلك أنهم رأوا رجلين يجريان نحو المسرح أحدهما يحمل بندقية والآخر مسدسين . وفي قول مراسل اليونايتد برس ،ستانلي سكوت، « انفجر صوت الرصاص وجرى الرجال والنساء والأطفال بحثاً عن ساتر. تمددوا على الأرض تحت الطرابيز » . أما رواية هيو سمبسون من محطة إذاعة دبليو.إم.سي.أيه.فهي: « ثم سمعت صوتا مكتوماً ورأيت مالكوم مصابًا ويداه ما زالت مرفوعة ثم سقط إلى الوراء على المقاعد من خلفه.الكل كان يصرخ ثم رأيت رجلا يصوب من بندقية داخل معطفه وهو خلفي بينما وقعت على الأرض أنا أيضا.كان يطلق النار وكأنه في فيلم رعاة بقر، يجري وظهره نحو الباب ويطلق النار في نفس الوقت ».

الشابة في الغرفة الجانبية خلف المسرح حكت لي، « بدا وكأنما تولى جش زمام الأمور. وبطريقة ما خمنت ما وقع ولذا رفضت أن أعود لأرى ما حدث . كنت أريد أن أبقي صورته حية في مخيلتي ».

انتفضت يد مالكوم بسرعة على صدره عندما فاجأته الأولى من بين ستة عشر خردقة بندقية أو رصاصات مسدس ثم انتفضت يده الأخرى. حطم الرصاص إصبع يده اليسرى الأوسط وتدفق الدم بغزارة من تحت لحيته فقبض على صدره. تهاوى جسمه الضخم متصلبا واصطدم بمقعدين ثم ارتطم رأسه بأرض المسرح بصوت داو.

في ذلك الهرج والمرج والصراخ والعويل جرى بعض الناس نحو المسرح. تدافعت الأخت بتي وسط الزحام بعد أن قامت من حيث رمت بجسدها فوق أطفالها الذين

كانوا يصرخون. جرت في عويل وهستيريا زوجي! إنهم يقتلون زوجي! « التقط مصور غير معروف صورا لمالكوم إكس وهو ملقي على أرض المسرح والناس من حوله يفتحون قميصه ويحلون ربطة عنقه وهم يحاولون التنفس الصناعي معه، قامت بذلك امرأة أولا ثم رجل. حكت تلك المرأة التي عرفت نفسها بأنها ممرضة وكفى « لا أدري كيف وصلت إلى المسرح ولكنني رميت بنفسي من فوق من ظننت أنه مالكوم لكنه كان شخصا آخراً. لقد كنت على استعداد للموت من أجله، كنت مستعدة لتلقي الرصاص فوق جسدي بدلا منه. ثم إذ بي أرى مالكوم وقد توقف إطلاق الرصاص فحاولت إعطاءه تنفساً صناعيًا » شقت الأخت بتي طريقها وسط الناس، وهي ممرضة أيضا، وعندما تعرف عليها الناس أفسحوا الطريق. جثت على ركبتيها وهي تعاين صدره العاري الذي اخترقه الرصاص وقالت والعبرة في حلقها « قتلوه! ».

يحكي شرطي الدورية توماس هوى ،٢٢ سنة، الذي كان واقفا في الخارج عند مدخل قاعة أودبون « سمعت صوت إطلاق الرصاص والمكان يكاد ينفجر من ذلك ».

هرع إلى الداخل فرأى مالكوم إكس ملقي على أرض المسرح ثم رأى الناس تطارد رجلا .أمسك الشرطي هوى المتهم قابضا عليه.

حكى لويس ميشوكص صاحب المكتبة التذكارية الوطنية بين الشارع السابع والجادة ١٢٥ في هارلم ، « كنت في طريقي إلى القاعة بدعوة من مالكوم ووصلت متأخرا حينما رأيت عدداً كبيراً من الناس يتدافع إلى الخارج».

العريف ألفين أرونوف ورجل الدورية لويس أنجلوس كانا يمران بالمنطقة في عربة عندما سمعا أصوات طلقات رصاص. « عندما وصلنا هنالك » روى أرونوف، « وجدنا الجماهير تتدافع خارجة وتصرخ بمثل » أطلق الرصاص على مالكوم ، اقبضوا عليه!لا تدعوه يهرب! « قبض رجال الشرطة على زنجي من ذراعيه كانت الناس تضربه وهو يحاول الهرب ثم أطلق أحدهما رصاصة في الهواء لإبعاد الناس عنه حتى لا يضيقوا عليه الخناق ودفعاه داخل عربة الشرطة ثم أخذاه بسرعة إلى المخفر.

جرى أحد الناس إلى قسم فاندربلت للحوادث في مستشفى كولومبيا المشيخي في الجادة ١٦٧ وخطف نقالة من المشمع وأحضرها إلى مسرح قاعة أودبون فوُضع مالكوم عليها بينما أخذ مصور غير معروف لقطة لمالكوم وهو في تلك الحال وفمه مفتوح وأسنانه ظاهرة.هرعوا به إلى مدخل الطوارئ في المستشفى، وصرح متحدث باسم المستشفى أن مالكوم وصل غرفة العمليات في الطابق الثالث في حوالي الثالثة والربع وأنه كان إما ميتا أو في طريقه إلى ذلك.

فتح فريق من الجراحين جرحًا في صدره محاولين دلك القلب وفي حوالي الثالثة

والنصف فقدوا الأمل وتوقفوا عن ذلك.

هبط المراسلون الصحفيون على المستشفى وبدأوا يطلقون الأسئلة على المتحدث باسم المستشفى الذي ظل يردد بفظاظة « لا أدري » ثم ركب المصعد إلى غرفة عمليات الطوارئ وكان عدد من الأصدقاء والأخت بتي قد شقوا طريقهم داخل مكتب المستشفى عندما جمع المتحدث شجاعته وأعلن: « الرجل الذي تعرفونه باسم مالكوم إكس قد مات. مات من جروح أحدثتها طلقات رصاص ويبدو أنه كان ميتا قبل وصوله إلى هنا. لقد أصيب في صدره بعدة طلقات كما أصيب بواحدة في الخد ».

خرجت المجموعة من مكتب المستشفى وكان الرجال الزنوج يغالبون العبرات ، أحدهم ظل يضرب بقبضة يده في قبضة آخر أما النساء فكن يبكين بحرقة ظاهرة.

بعد لحظات من انتشار الخبر في هارلم (ونقله إلى كل أرجاء العالم) بدأ جمهور يتجمع خارج فندق تيريزا الذي كانت به رئاسة منظمة مالكوم إكس ، منظمة الوحدة الأفرو أمريكية. سمعوا من المذياع الصغير أن الرجل الذي اقتادته الشرطة من مسرح الجريمة عرف نفسه أولا بأنه توماس هاجان ،٢٢ سنة، (مستقبلا عرف نفسه باسم تالمادج هاير)، وأن البوليس وجد في جيبه شريطا به أربع رصاصات غير مستعملة ،ثم صرح الأطباء في مستشفى تذكاري يهودي أن هاير أصيب برصاصة في الفخذ الأيسر وبجروح في رأسه وأثار ضرب على كل جسده. « لولا أن أبعدناه عن الجمهور لركلوه حتى الموت » في قول العريف أرونوف، ثم أخذ هاير إلى قسم السجناء في مستشفى بلفيو.

عندما بلغت الساعة الخامسة مساء بدا الجمهور المتجمع أمام فندق تيريزا يتفرق بهدوء وأمرت السلطات باغلاق مسجد المسلمين السود رقم سبعة والمطعم القريب منه بين شارع لينوكس والجادة ١١٦ وذلك كإجراء احترازي مؤقت بأمر مدير قسم الشرطة المحلي رقم ٢٨ ، الرائد لويد سيلي وهو أول زنجي في نيويورك تبوأ مثل ذلك المنصب. الصحفيون الذين اتصلوا بمطعم المسلمين السود رد عليهم صوت رجل يقول: « لا يوجد أحد ليدلي بأي تصريح ». أما عند الاتصال بمكتب منظمة الوحدة الأفرو أمريكية فلا أحد يرد على الهاتف الذي يظل جرسه يرن.قائد شرطة المنطقة، الرائد سيلي، ظهر بعد فترة وجيزة يمشي بنفسه في الجادة ١٢٥ وهو يهز عصاته ويتحدث مع من يقابله من الناس.

في داخل المخفر المحلي رقم ٢٨ في الجادة ١٢٣ طلب الى الأربعين شرطيا الذين كانوا على وشك المغادرة لانتهاء ورديتهم أن يبقوا ثم وصلت حافلتان من القوة التكتيكية الخاصة ذات التدريب الممتاز من شرطة مدينة نيويورك – كما أدلى عدد من كبار رجال الشرطة بتصريحات للصحف كتصريح قائد القوة الخاصة، هاري

قيصر الذي قال أنهم لم يلاحظوا أية حوادث غير عادية ولا يتوقعون حدوث مشاكل. كذلك صرح نائب مدير الشرطة، والترأرم، أن مئات من رجال الشرطة الإضافيين سيوضعون في منطقة هارلم منهم مجموعة من وحدة المهمات الخاصة. كما خمن أحد مساعدي مدير الشرطة أن القاتل لم يندفع من القاعة بين الجمهور ولكنه ظل يجري مرورا بالمسرح ثم هرب خارجا إلى الجادة ١٦٥ . في مساء نفس اليوم قطع رئيس قسم المحققين في الشرطة، فيليب ج. والش، أجازته لينضم إلى البحث عن القتلة ، وقال أنه يتوقع أن يستغرق البحث والتحري زمنًا طويلا. التقطت الشرطة والمراسلون الصحفيون عدة صور للمسرح وعليه دوائر وإشارات عملت بالطباشير الأبيض حول خمس نقاط اخترقها الرصاص في منصة المتحدثين مع ثقوب أخرى في خلفية المسرح من أثر طلقات أخطأت مالكوم أو اخترقته.رفضت الشرطة مناقشة إشاعة انتشرت في هارلم تقول أن أفلاما سينمائية أخذت في قاعة أودبون أثناء الجريمة وهنالك إشاعة أخرى انتشرت بسرعة مفادها أن الأخت بتي أزالت من معطف مالكوم عندما انحنت فوقه ورقة كتب مالكوم عليها أسماء الأشخاص الذين علم بتعيينهم لقتله.

أكد نائب مدير الشرطة والترآرم أنهم بذلوا مجهودا لحماية مالكوم إكس وأن الشرطة تقدمت أكثر من عشرين مرة وفي أوقات مختلفة عارضة حمايتها لمالكوم إكس أو لأحد من مساعديه لكن عرضهم رفض وأنهم عرضوا إحضار رجال شرطة عند تجمعات منظمة الوحدة الأفرو أمريكية للوقوف خارج قاعة أودبون سبع عشرة مرة، آخرها كانت في يوم الأحد الفائت. وعندما سئل عن طلب بحمل مسدس الذي صرح مالكوم علنًا أنه ينوي تقديمه ، أجاب نائب مدير الشرطة أن مالكوم ، فيما يعلم، لم يتقدم فعلا بمثل ذلك الطلب على الإطلاق.

أثيرت عدة أسئلة من بينها أن المتهم الذي قبض عليه شرطي الدورية هوى بينما كان الجميع يطارده، لم يُعلن اسمه رسميًا حتى كتابة هذه السطور. كما أن تصريح نائب مدير الشرطة والترآرم بأن مالكوم رفض حماية الشرطة يتعارض صراحة مع أقوال كثير من زملاء مالكوم التي تفيد بأنه في الأسبوع السابق لاغتياله كثيرا ما اشتكى من أن الشرطة لا تعامل طلبه للحماية بجدية.أخيرًا وعلى الرغم من مزاعم مصادر الشرطة أنهم عينوا فرقة خاصة من عشرين رجلا لحفظ النظام في أثناء المحاضرة وأن بعض أعضاء وحدة المهمات الخاصة كانوا حاضرين، إلا أن أيًا منهم لم يظهر أثناء أو بعد الاغتيال وأن تالمادج هاير الذي تم إنقاذه من الجمهور واعتقل كمتهم بعد الاغتيال ، إنما أمسك به رجال دورية كانوا يمرون في عربتهم بقرب المكان.

اتصل الصحافيون هاتفيًا ومن على بعد بقصر رئاسة إلايْجا محمد في شيكاجو الذي رفض الرد على الهاتف لكن متحدثا باسمه صرح بأنه « ليس لمستر محمد تعليق اليوم

ولكنه قد يدلي بتصريح غدا ». كذلك رفض الأخ الأكبر لمالكوم ، ولفرد إكس، منستر مسجد ديترويت رقم واحد، أن يدلي بأي تصريح وردت امرأة في بيته على الصحافيين قائلة: إن منستر ولفرد إكس غير موجود وأنه لم يذهب إلى نيويورك ولا تعتقد أنه يفكر في ذلك. (عند الاتصال بمنستر ولفرد إكس بعد ذلك قال أنه يتوقع أن يحضر مؤتمر المسلمين السود في شيكاجو يوم الأحد التالي وفيما يختص بأخيه قال «أخي قد مات وليس هنالك من شيء يمكننا أن نفعله لإعادته إلى الحياة ») .

بحلول الظلام تجمع كثير من الزنوج نساء ورجالا أمام مكتبة لويس ميشوكص حيث تتركز أغلب النشاطات العامة لجماعة الوطنية السوداء. كذلك فتحت جماعة صغيرة من منظمة الوحدة الأفرو - أمريكية مكاتب رئاسة المنظمة في فندق تيريزا وجلسوا داخل الغرفة رافضين التحدث إلى الصحفيين.

ثم ظهرت طبعة صحفية **الديلي نيوز** في أكشاك بيع الصحف وصفحتها الأولى ليس بها إلا « اغتيال مالكوم إكس » بعنوان بارز وتحته صورته محمولا على نقالة وتحت الصورة كتب « ضرب رميا بالرصاص أثناء محاضرة » وفي لونج آيلاند حيث تم أخذ أتيلا بنت ست السنوات إلى هناك بعد اغتيال أبيها ، كتبت خطابا إليه بعناية « أبي العزيز، إنني أحبك بشدة، أتمنى لو لم تكن ميتا ».

نقل الجثمان الذي مازال مقيدا تحت اسم مجهول لأنه لم يتم التعرف عليه رسميا بعد ، نقل إلى مكتب الطبيب الشرعي لمدينة نيويورك في عنوانه رقم ٥٢٠ الشارع الخامس. هناك أكد تشريح الجثة أن مالكوم إكس توفي متأثرا بجروح من خردقة رصاصة في القلب. أوضح دكتور هيلبيرن أن الموت حدث بعد أول مجموعة من الطلقات التي تسببت في ثلاثة عشرة جرحا في القلب والصدر وأضاف أن الجروح في الفخذ والساقين التي أحدثها الرصاص من عيار ٣٨ وعيار ٤٥ تثبت أن إطلاق النار استمر حتى بعد أن سقط مالكوم على أرض المسرح.

في صباح الاثنين جرى التعرف رسميا على الجثمان في مكتب الطبيب الشرعي بواسطة الأخت بتي التي كان يصاحبها بيرسي صتون وأخت مالكوم إكس غير الشقيقة من بوسطن، مسز اللا كولينز، وجوزيف إي. هول المدير العام لمحل حانوتي الوحدة في هارلم. عند الظهر وهي خارجة من مكتب الطبيب الشرعي في طريقها لإكمال ترتيبات الجنازة، أخبرت الأخت بتي الصحفيين، « لم يصدقه أحد. لم يأخذوا تحذيراته مأخذ الجد وحتى عندما رميت قنبلة في بيتنا زعموا أنه الفاعل ».

في محل حانوتي الوحدة في الطرف الشرقي من الشارع الثامن بين الجادة ١٢٦ والجادة ١٢٧ اختارت الأخت بتي تابوتا برونزيا طوله ستة أقدام وتسع بوصات مغطى بمخمل أبيض وبناء على طلبها تقرر أن تؤجل شعائر الدفن إلى يوم السبت ، بعد خمسة أيام.

أعلن مدير محل الحانوتي ، ومستر هول أن الجثمان سيكون في بذلة كاملة وسيوضع داخل صندوق زجاجي لمن يريد أن يلقي النظرة الأخيرة عليه ابتداءً من يوم الثلاثاء وحتى يوم الجمعة ثم تعقد شعائر الدفن يوم السبت في كنيسة في هارلم .

بعد فترة وجيزة علق اسم « الحاج مالك الشباز » على واجهة محل الحانوتي. ومن بروكلين احتج مسلم أصيل من البعثة الإسلامية الأمريكية يدعى الشيخ الحاج داوود أحمد فيصل قائلا: أن تأخير مراسم الجنازة يتعارض مع سنن المسلمين التي تقول أن الشمس يجب ألا تغرب مرتين على جثمان وأن القرآن يأمر بالدفن خلال أربع وعشرين ساعة وأن المسلمين يؤمنون أن الروح تغادر الجسد عندما يبرد لتعود إليه بعد أن يوارى الثرى.

في شيكاجو حيث كانت الشرطة تراقب مواقف الحافلات المسافرة ومحطات القطار ومداخل المدينة ومطار اوهير، صرح الايْجا محمد وهو تحت حراسة مشددة في قصره ذي الثلاث طوابق « مات مالكوم طبقا لما كان ينادي به ويبدو أنه جعل من السلاح ربًا له ولذلك لم نستطع نحن تحمل رجل مثل ذلك. كان يدعو للحرب بينما ندعو نحن للسلام. لقد سمح لنا بالقتال إذا هوجمنا وذلك ما تجده في الكتب المقدسة، القرآن والإنجيل. لكننا أبداً لن نكون البادئين بالاعتداء وأنا لا يحق لي أن أخاف لأن الله اختارني وإذا رماني الله في يد الكائدين فأنا قابل لذلك. حياتي في يد الله » خارج القصر كانت دوريات شرطة مدينة شيكاجو وشباب ثمار الإسلام تحرس المكان وأعداد أكبر من المجموعتين كانت تحرس مدرسة جامعة الإسلام الثانوية ومكاتب صحيفة **محمد يتكلم**.

صرح محامي مالكوم إكس، النائب البرلماني بيرسي ستون أن لدي الشرطة الآن أسماء من قال أن مالكوم إكس أنهم يخططون لقتله. في كل أنحاء هارلم كان المراسلون الصحفيون يستجوبون الناس ومكبرات الصوت والمسجلات توضع أمام أفواه رجل الشارع. أما في مبني المخفر فقد كان من يستجوبهم الشرطة يخرجون من الباب الخلفي كما صرح مساعد مدير الشرطة جوزيف كويل «...أنها مؤامرة مخططة جيدا ونحن نقوم الآن بعملية مسح لأربعمائة الشخص الذين كانوا بالقاعة ساعة الجريمة » ، ثم أضاف أن خمسين محققا قد عُينوا لهذه الجريمة وأنهم على اتصال بالشرطة في المدن الأخرى.

أغلب سكان هارلم كانوا نياماً عندما مزق سكون الليل صوت انفجار بالقرب من مسجد المسلمين السود رقم سبعة في الطابق الرابع من بناية ذات أربعة طوابق عند الجادة ١١٦ وشارع لينوكس في الثانية والربع صباحا . استدعى رجال الشرطة الأربعة الذين كانوا يحرسون مدخل المكان رجال الإطفاء توا. في دقائق قليلة

انفجر لهيب النار وارتفع شاقا سطح المبنى قافزًا إلى مدى ثلاثين قدما فوقه واستمر رجال الإطفاء يصبون عليه الماء لمدة سبع ساعات. في سقف المبنى المجاور عثرت الشرطة على صفيحة بنزين فارغة، كيسا من الورق البني ملطخا بالبنزين وخرقا مبتلة به. كذلك تم تحويل حركة خدمات مترو الأنفاق في اتجاه الجنوب وكذلك ثلاثة من طرق الحافلات . وقع أحد جدران المبنى مرتطمًا بعربة الإطفاء ذات الخمس ماكنات والدرج العالي محطماً ماكينتين على الرصيف كما أصابت رجلي إطفاء بجروح وأحدهما جرحه خطير وكذلك أصابت أحد المارة الذي كان في الجانب الآخر يشتري صحيفة عند بزوغ الفجر. وعندما أعلن أن النار « تحت السيطرة » كان مسجد المسلمين السود وكنيسة « الجثمانية لله في المسيح » في الطابق الذي تحتها قد انهارتا ودمرت سبعة متاجر أرضية بما فيها معظم المسلمين السود. صرحت مصادر في إدارة المطافئ أن إصلاح آليات الحريق يتطلب حوالي ٥٠٠٠٠ دولار تقريباً كما أعلن جوزيف إكس، الذي كان مساعداً مباشراً لمالكوم في السابق، أن أمام أتباع إلايْجا محمد مسجدين بديلين ليجتمعا فيهما، أحدهما في بروكلين والثاني في كوينز. كلاهما كان تحت حراسة مستمرة من الشرطة.

في الطرف الثاني من القطر في سان فرانسيسكو اكتشف اثنان من رجال الشرطة نارًسا تحترق في مسجد المسلمين السود في يوم الثلاثاء بعد الظهر وأطفآها بسرعة. كان مصدرها جازاً صُب على الرصيف وعلى الباب.

خُطط لعرض الجثمان لإلقاء النظرة الأخيرة عليه لمن يريد يوم الثلاثاء الساعة الثانية والنصف بعد الظهر. اصطف الجماهير في الخارج خلف تحصينات الشرطة منتظرة السماح لها بالدخول وحيثما نظر الإنسان رأى الشرطة وبينها عدد من عربات الدورية وحتى بعض مهرة الرماة في السطوح التي حول محل حانوتي الوحدة. إلا أن التهديدات الهاتفية المجهولة عن القنابل فرضت اخلاء المحل مرتين بحثاً عن القنابل الموقوتة التي اتضح كذبها. كذلك تم تفتيش مكتب صحيفة **نيويورك تايمز** في الجادة ٤٦ بعد أن اتصل رجل هاتفيا يشكو من مقال ظهر في الصحيفة عن مالكوم إكس ويهدد بأن « المطبعة ستحطم في الساعة الرابعة ».

فتشت الشرطة كل من يحمل لفافة وباقات الزهور المرسلة والحقائب الكبيرة عند السيدات وفي الساعة السادسة والربع وصلت قافلة من عربات الشرطة ركبت في إحداها الأخت بتي ومعها أربعة من ذوي القربى والأصدقاء الخلص فدخلوا مكان الجنازة في سيل من أضواء آلات التصوير الكاشفة. علق أحد المراسلين البيض « إنها جاكلين كندي سوداء. تمشي في مهابة وتعرف ما عليها أن تفعل ومتى تتعامل مع كل شيء بطريقة جميلة ».

في السابعة وعشر دقائق خرج أفراد العائلة وغادروا المكان وبعد ذلك بعشر دقائق سمح للجمهور المنتظر ومنذ تلك اللحظة وحتى الحادية عشرة مساء مر ألفا شخص بينهم عشرات من البيض من أمام الجثمان في بذلته الكاملة والقميص الأبيض وربطة العنق الداكنة وفوقه على لوحة نحاسية مستطيلة حفرت الكلمات «الحاج مالك الشباز -١٩يناير١٩٢٥ -٢١فبراير١٩٦٥ ».

بحث أتباع مالكوم حتى ابتدأ القلق يساورهم عن كنيسة في هارلم تقبل إقامة مراسيم الجنازة بها يوم السبت. رفض كثير من مسئولي الكنائس بما فيهم متحدث باسم أكبر كنيسة في هارلم ، الكنيسة الأثيوبية المعمدانية التي يعمل الأب والنائب في الكونجرس، أدم كلايتون بأول قسا لها ومن بين الكنائس الأخرى التي رفضت الطلب على حسب رواية صحيفة أمستردام نيوز كانت كنيسة وليام سي.إم.آي. ومعبد الملاذ لكنيسة سيدنا المسيح. وأخيرًا وافقت كنيسة الأسقف الفن أ.تشايلدز، أسقف معبد الإيمان لكنيسة «الإله في المسيح » الواقعة بين الجادة ١٤٧ وشارع أمستردام . معبد الإيمان هذا كان داراً للسينما حُول قبل خمسة عشر عاما إلى كنيسة تتسع لألف شخص في قاعتها الرئيسية وسبعمائة آخرين في السرداب. صرح الأسقف تشايلدز الذي انتخب في عام ١٩٦٤ كعمدة للمنطقة، صرح للصحافة أنه قدم خدمات كنيسته « كلفته إنسانية » وعن مالكوم إكس قال:«...جسور وصريح . لم أتفق معه في كل فلسفته ولكن ذلك لم يفسد الود بيننا».ما أن أعلن عن ذلك الا وتلقى الأسقف تشايلدز وزوجته سلسلة من تهديدات هاتفية عن قنابل موقوتة في الكنيسة وفي بيته.

بدأت وسائل الإعلام المختلفة تنشر تصريحات الشخصيات الزنجية المشهورة.قال العالم النفساني المشهور دكتور كينيث ب.كلارك لمجلة جت، « كنت أكن احتراماً عميقاً لهذا الرجل وأعتقد أنه كان يبحث بإخلاص عن مكان له في الكفاح من أجل الحقوق المدنية في مستوى يجد الاحترام والفهم. لقد كنت أتطلع إلى تطوره في هذا الاتجاه ولا يعنيني ماضيه كثيراً. إنها لمأساة أن صوته أُسكت عندما كان قاب قوسين من تحقيق الاحترام الذي سعى إليه. » كتب مراسل النيويورك تايمز في لندن نقلاً عن الكاتب المسرحي جيمس بولدوين الذي رأى في موت مالكوم إكس « نكسة كبيرة للحركة الزنجية. » أشار بولدوين بأصابع الاتهام للصحفيين البيض قائلاً: « لقد فعلتموها..وأي كان من ارتكبها فقد خرج من بوتقة العالم الغربي ، بوتقة الجمهورية الأمريكية. » اغتصاب أوروبا لأفريقيا بدأ المشاكل العنصرية وبذا كانت بداية النهاية لمالكوم إكس في قول بولدوين.

كذلك صرح صاحب محل الكتب لويس ميشوكص الذي كان صاحب صوت

مهم في هارلم، لصحيفة أمستردام نيوز « الأشياء مثل مقتل مالكوم هي التي تجعل الجماهير تلتصق ببعضها. لقد مات بنفس النهج الذي رأى به لومبا الموت في الكونجو...علينا أن نتحد لا أن نتصارع ».

« مالكوم إكس السبب في جعل الشباب الزنجي يغير من نظرته لنفسه » على حد تعبير بيارد رصطن أحد الشخصيات الأساسية في تنظيم المسيرة إلى واشنطن في عام ١٩٦٣.

كما اتهم المدير القومي لمنظمة مؤتمر المساواة العنصرية ، جيمس فارمر، «طرفا ثالثا » باغتيال مالكوم إكس حتى يقود ذلك إلى مزيد من العنف والثأر. بعد عدة أيام من ذلك وعندما سئل عن رأيه في الإشاعة المنتشرة عن أن مؤامرة « صينية حمراء » وراء اغتيال مالكوم ، أجاب فارمر « لن أقول أن ذلك مستحيل ».

« موت مالكوم هو أكبر نذير شؤم للزنوج في أمريكا منذ نفى ماركوس جارفي في العشرينات ، صرح بذلك للصحفيين دكتور اريك سي. لنكون مؤلف كتاب المسلمون السود في أمريكا في حديث في جامعة براون بمدينة بروفيدنس بولاية رود أيلاند حيث كان يعمل كأستاذ زائر وباحث. أضاف دكتور لنكون، «أشك في وجود صلة خارجية لهذا الاغتيال فالإجابة أقرب الينا من ذلك. الإجابة تقبع في الصراع المحلي بين الفئات المتنافسة على قيادة جماهير السود والتي هي أكثر مجموعة حبلى بالانفجار في أمريكا » أما روى ويلكنز، الأمين العام للمنظمة القومية لتقدم الملونين فقال: « الخطيب الساحر الذي لا يجاري والذي كان مالكوم في حياته سيخلف بمماته سحراً أشد نفوذاً وأكثر تشويشاً مما كان وهو حي ».

لم يكن المحققون في شرطة نيويورك الذين ينقبون في القضية سعداء بحقيقة ألا أحد من أتباع مالكوم تقدم لمساعدتهم في التحري وبناء على طلب الشرطة نشرت الصحف رقما هاتفيا ٨١١٧ -٥ وس لتلقي أية معلومات سرية يتقدم بها أي شخص عن الجريمة. التقطت الشرطة روبن فرانسيس الذي وصف بأنه الحارس الشخصي لمالكوم إكس ووضعته في السجن إذ يعتقد بأنه الشخص الذي أطلق النار على المتهم بقتل مالكوم إكس، تالمادج هاير، أثناء الشجار الذي حدث الأحد الماضي في قاعة أودبون. أما هاير فكان ما زال في عنبر مستشفى بلفيو للسجناء في انتظار إجراء عملية جراحية له.

بينما الآلاف تمر في صف طويل لتلقي النظرة الأخيرة على القتيل مالكوم إكس وسط تهديدات هاتفية متقطعة عن قنابل ستنفجر في محل الحانوتي وفي كنيسة معبد الإيمان التي ستقام فيها مراسم الجنازة يوم السبت ، ظهرت منظمة جديدة تدعى اتحاد العمل السياسي المستقل وهددت بإعلان المقاطعة على كل محل تجاري يرفض أن يغلق أبوابه بعد ظهر الخميس وحتى صباح الاثنين « إجلالاً لمالكوم

إكس » المتحدث باسم هذه المنظمة الجديدة كان جسي جراي المعروف بقيادته لأضراب المستأجرين المشهورين. ابتدأت تلك المنظمة توزع على المشاة في هارلم منشورات تقول فيما تقول:« إذا رفض أصحاب المتاجر إغلاق محالهم فذلك يعني أنهم مرتبطون بالعدو - ولذا ينبغي أن نغلق نحن هذه المحال - وذلك بتجاهلها. كذلك كل من يتبضع في المحال التي على الجادة ١٢٥ في الساعات التي يجب أن تقفل فيها المحال التجارية يضع نفسه موضع الأداة المجرمة التي سمحت لتركيبه السلطة في هذا البلد أن تستغله لاغتيال الأخ مالكوم » وفي تظاهرة مسائية لاتحاد العمل السياسي المستقل أمام مكتبة لويس ميشوكص أعلن جيسي جراي أنه يجب أن يرشح زنجي نفسه لمنصب عمدة مدينة نيويورك « باسم مالكوم » وقدر أن مرشحا مثل ذلك سيتحصل على مائة ألف صوت. بعد تلك التظاهرة بمدة قصيرة اجتمع تجار المنطقة وأعضاء غرفتها التجارية وبسرعة أصدروا قرارًا يحثون فيه كل محال هارلم التجارية أن تبقى مفتوحة « وتظل في خدمة زبائنها » وأوصوا بأن يمنح موظفو كل محل أجرهم كاملا إن أرادوا حضور جنازة مالكوم إكس في صباح السبت. ثم بدأ قادة هارلم واحدا اثر أخر يهاجمون اقتراح اتحاد العمل السياسي المستقل بوصفه « غير مسئول » في رأيهم. في النهاية بقيت كل المحال التجارية مفتوحة. أما منظمة اتحاد العمل السياسي المستقل فقد جمعت حوالي عشرين شخصا وقفوا أمام محل بلومستاين، أكبر متجر في هارلم، يحملون لافتات تدعو إلى مقاطعته وعلى رأس ذلك النفر كان رجلان من البيض يحملان لافتات « كل المحال يجب أن تغلق. كرموا مالكوم إكس! » .

تغير الطقس إلى بارد جدا وكانت قطع الثلج تتدلى من سقف المبنى المتداعي من تأثير القنبلة والذي كان يضم مسجد المسلمين السود رقم سبعة. كذلك كتبت صحيفة أمستردام نيوز التي كانت مكاتبها في الشارع الثامن على بعد مربع واحد من محل الحانوتي، مقالاً تحت عنوان « على يسرك يا إدي » قائلة :إن إكراما منظما لمالكوم إكس « سيربك أعداءه الذين لن يسعدهم شيء مثل أن يروا السود يحدثون شغبا فوق جثمانه».

الخوف من حدوث شغب خطير تشعله حادثة ما يصعب التنبؤ بها كان يملأ الجو كما بدأ عدد متزايد من زعماء هارلم ينحون باللائمة في كل ما يحدث على وسائل الإعلام البيضاء التي تعطي نغمة مثيرة لما يحدث في حي هادئ محترم. وأخيرًا أصدر اتحاد قساوسة الطوائف المسيحية المختلفة في هارلم بيانًا به اتهام رسمي قائلين: «العناوين الصارخة في كثير من صحفنا تجعل هارلم تبدو وكأنها معسكر مسلح جاهز للانفجار في أية لحظة، علما بأن الأغلبية الساحقة من سكان هارلم لا دخل لها بحوادث العنف المؤسفة التي بالغت الصحف بتصويرها وكثيرا ما تتسبب الطريقة المشوهة التي

تنشر بها الأخبار في خلق جو يستغله بعض الأفراد المنحرفين والمتهورين لمصلحتهم ».

« مات مالكوم معدما » ، عنوان بارز في صحيفة **أمستردام نيوز** اتى كصدمة للكثيرين. قليل من فكر مليا أن مالكوم إكس عند انضمامه للمسلمين السود وقع على قسم بالفقر ولذا لم يستحوذ في سنواته الإثنتي عشرة على أي شيء ليضعه تحت اسمه (في مكان ما قرأت أن مالكوم إكس كان يتلقى في أيامه مع المسلمين السود مبلغ ١٧٥ دولار أسبوعيًا لتغطية مصاريفه المعيشية والأخرى ماعدا تكاليف السفر). « ترك زوجته الحبلى وبناته الأربعة بدون أي نوع من التأمين وبلا مدخرات أو دخل » في رواية صحيفة **أمستردام نيوز** (ويمكن أن يضاف لذلك حقيقة أنه لم يكتب أية وصية وأن الميعاد الوحيد الذي حدده لمقابلة محاميه في شأن ذلك كان يوم الخميس ٢٦فبراير - خمسة أيام بعد مقتله). خلال الأسبوع انتظمت مجموعتان وبدأت تطلب من الهارلميين التبرع لمساعدة الأخت بتي لتربي وتعلم أطفالها (بعد ذلك أعيد تنظيم الحملة لتصبح باسم صندوق مال بنات مالكوم إكس في مصرف هارلم الوطني للحرية وعنوانه ٢٧٥ غرب الجادة ١٢٥).

في بوسطن صرحت مسز اللا كولتز، أخت مالكوم إكس غير الشقيقة، أمام مؤتمر صحفي أنها ستختار قادة منظمة الوحدة الأفرو أمريكية الذين سيخلفون مالكوم إكس . مسز كولنز كانت تدير مدرسة سارة لتل للفنون التحضيرية في بوسطن حيث يدرس فيها الأطفال اللغات العربية والسواحلية والفرنسية والأسبانية طبقا لقولها. في عام ١٩٥٩ انشقت هي أيضا من جماعة إلايْجا محمد التي أدخلها فيها أصلا مالكوم إكس.

بعيدًا عن هارلم وفي البلدان التي زارها مالكوم إكس أعطت الصحف لجريمة قتل مالكوم تغطية أغاظت مدير مكتب المعلومات الأمريكي، كارل ت. راون والذي هو زنجي. قال في واشنطن وهو يخاطب نقابة الدبلوماسيين الأمريكية أنه أدرك منذ أن سمع لأول مرة عن الجريمة أنها سيساء تفسيرها في بلدان كثيرة لا يعي أهلها حقيقة ما يمثله مالكوم إكس وأن مكتب المعلومات الأمريكية جد وثابر ليعطي الحقائق للصحف الأجنبية عن مالكوم إكس وما يدعو له وبالرغم من ذلك « كانت هنالك أكثر من ردة فعل أفريقية أساسها التضليل والتحريف » .

استمر مدير مكتب المعلومات الأمريكي روان قائلا :« أود أن أنبهكم أننا أمام زنجي كان يدعو إلى الانفصال والحقد العنصري، قتله زنجي آخر يفترض أنه من منظمة أخرى تدعو للانفصال والحقد العنصري، كلاهما لا يمثل إلا أقلية ضئيلة من سكان أمريكا الزنوج. » رفع راون أمامهم بعض الصحف الأجنبية معلقا « كل هذا عن خريج سجون، بائع مخدرات سابق تحول إلى عنصري متعصب! ليس أمامي إلا أن

استخلص أن الأمريكيين يعرفون أقل مما يظنون أنهم يعرفون عن تفكير الأمم الأخرى، وأن الحاجة إلى الإعلام أكبر مما نظن نحن في مكتب المعلومات الأمريكي ».

كتبت صحيفة **الديلي تايمز** النيجيرية « مثل كل البشر، لم يكن مالكوم منزها عن الخطأ... ولكن ليس هنالك من يشك في أنه كرس حياته من أجل تحرير أخوته. ناضل مالكوم إكس ومات في سبيل ما آمن أنه صواب وسيحتل مكانه في قصر الشهداء » صحيفة **التايمز** الغانية في أكرا سمت مالكوم إكس « المناضل الأكثر شعبية بين زعماء حركة الانفصال الأفرو أمريكيين»، وأضافت اسمه إلى أسماء بعض الأفارقة والأمريكيين بينها جون براون وباتريس لومبا « الذين استشهدوا في سبيل الحرية. » كذلك كتبت صحفية، **الديلي جرافيك** في أكرا معلنة « سيسجل التاريخ أن اغتيال مالكوم إكس كان أكبر ضربة تقاسيها حركة الاندماج الأمريكية منذ الاغتيال الشنيع الذي لاقاه مدجار ايفانز وجون ف. كندي ».

أما صحيفة **حرية باكستان** فقد قالت عن مالكوم :« زعيم زنجي عظيم » ، كما كتبت صحيفة **باكستان تايمز** « موته نكسة لا جدال فيها لحركة تحرير الزنوج. » وذكرت صحيفة بيبول ديلي الصينية في بكين أن الاغتيال حدث « لأن مالكوم إكس... كافح من أجل تحرير ٢٣ مليون زنجي أمريكي. » وطبقا لتقارير المراسلين الصحفيين أول عنوان بازر في الصحف الجزائرية كان «الكلوكلوكس كلان اغتالت مالكوم إكس » واتهمت صحيفة **الجر ريبليكان** الفاشية الأمريكية باغتيال مالكوم في مقال افتتاحي لها كما أن مراسل صحيفة **النيويورك تايمز** كتب أن الجزائريين أظهروا ما يوحي بأنهم يضعون مالكوم إكس في مرتبة الشهداء. في مدينة جورجتان في غيانا البريطانية تظاهر المواطنون أمام القنصلية الأمريكية متهمين الإمبريالية الأمريكية. في الصين أيضا علقت صحيفة ثانية هي صحيفة **جنمين جيهابو** قائلة أن قتل مالكوم يوضح أن التعامل مع الإمبرياليين الغاشمين يتطلب مقابلة العنف بالعنف. صحيفة **البرافدا** في موسكو حملت الخبر مع تفاصيل مختصرة ولكنها لم تعلق عليه كما جاء في برقية من مراسل **النيويورك تايمز** هناك بينما كتب مراسلها الآخر من بولندا قائلا أنه ليس هنالك رد فعل ملحوظ من أي نوع وأن « قليلاً من بين البولنديين من سمع بمالكوم أو له اهتمام بالمسألة العنصرية » وعلى حسب الرواية نُشر الخبر روتينياً وبدون اهتمام يذكر في صحف القاهرة وبيروت ونيودلهي وسايجون. في باريس وأوروبا الغربية جعلته الصحف خبرًا مثيرًا ولكن لمدة يوم واحد وعاملته الصحافة الألمانية وكأنه جزء من حرب عصابات شيكاجو. وجاء في تقرير لصحيفة **النيويورك تايمز** «صحف لندن ربما تكون أكثر من أعطى الموضوع تغطية ولمدة أطول من أية صحف أخرى مستمرة في التركيز

على تحقيقات الشرطة عن الجريمة كما حملت كل من **التايمز** اللندنية **والديلي تلغراف** مقالات افتتاحية عن الموضوع إلا أن أي من الصحيفتين لم تُعامل مالكوم كشخصية أساسية. » كذلك حملت **النيويورك تايمز** خبرًا من مراسلها في لندن جاء فيه « هاجمت مجموعة في لندن تسمي نفسها مجلس المنظمات الأفريقية الولايات المتحدة بشدة على هذه الجريمة. تتكون هذه المنظمة من طلاب وممثلين أفريقيين غير رسميين. وفي بيان صحفي وصفت المنظمة مالكوم بأنه « قائد في النضال ضد الإمبريالية الأمريكية والطغيان والعنصرية» ، وأن جزاري باتريس لومبا هم نفس الوحوش التي قتلت مالكوم عن عمد ومع سبق الإصرار والترصد.

العناوين البارزة في صحف نيويورك الصادرة صباح الجمعة عن اغتيال مالكوم إكس ركزت على اعتقال الشرطة لمتهم ثان في الحادث وهو خبير رياضة كاراتيه قصير وممتلئ الجسم، مستدير الوجه عمره ستة وعشرون عاما ويدعى نورمان ٣ إكس بطلر وقيل أنه مسلم أسود أيضا. تبع ذلك بعد أسبوع اعتقال توماس ١٥ إكس جونسون الذي يفترض أنه مسلم أسود أيضا. كلا الرجلين كانا قد اتهما في يناير ١٩٦٥ بإطلاق النار على بنجامين براون ضابط أحداث في مدينة نيويورك انشق عن المسلمين السود. وجه للمقبوضين الاثنين مع هاير الاتهام رسميا في ١٠ مارس بجريمة قتل مالكوم إكس.

مع إعلان اعتقال بطلر والتعرف عليه مبدئيا كعضو في جماعة محمد وصل التوتر مدى عاليا بين كل من كان له دور في الصراع. وكان قد خُطط مسبقاً لقيام المؤتمر القومي للمسلمين السود الذي سيبدأ ذات الجمعة ويستمر لمدة ثلاثة أيام في شيكاجو. في الصباح الباكر لذلك اليوم قضى عشرات من رجال الشرطة أربعين دقيقة في مطار كندي يفتشون إحدى طائرات خطوط كابيتال التي كانت قد قبلت في ديسمبر ١٩٦٤ السابق تأجير طائرة للمسجد رقم سبعة من نيويورك إلى شيكاجو وبالعكس مقابل مبلغ ٥١٧٥ دولار سددتها إدارة المسجد بعد ذلك على أقساط.

اجتمع في شيكاجو ثلاثة آلاف مسلم أسود يمثلون مساجدهم في أغلب المدن الكبيرة لحضور (يوم المنقذ) السنوي الذي عندهم بمثابة عيد الميلاد. اجتمعت عدة مجموعات على حسب ترتيب الوصول خارج أستاذ رياضي كبير في جنوب شيكاجو، الرجال منهم في سترات داكنة أنيقة وقمصان بيضاء والنساء في أثواب حريرية طويلة وغطاء للرأس وكل من هؤلاء يمر من نقطة تفتيش دقيقة قالت عنها الشرطة شيكاجو أنها لم تشهد لها مثيلاً إلا عند استقبال رئيس دولة.

التفتيش كان أكثر دقة في حالة القليلين من غير المسلمين الذين حضروا فضوليا وكذلك في حالة الصحفيين، بيضاً وسوداً. « ارفع قبعتك وأظهر بعض الاحترام »، أمر أحد حرس المسلمين السود صحفياً أبيض بذلك. وبعد أن يتم تفتيش

الشخص الداخل يقوده أحد شباب ثمار الإسلام إلى مقعد معين داخل الاستاد البارد الذي يسع ٧٥٠٠ شخص :(بعد ذلك بمدة أنحت مصادر المسلمين باللائمة لخلو نصف مقاعد الاستاد على « الرجل الأبيض الذي يفرق بين الزنوج » إلا أن المراقبين الذين شاهدوا الاستاد ممتلئاً عن آخره في المؤتمر السابق عام ١٩٦٤ قالوا أن التهديدات بتفجير قنبلة داخل الاستاد منعت كثيراً من غير المسلمين من الحضور. جلس الجمهور يهمهم تحت لافتتين ضخمتين بهما إعلان « مرحبًا بالايْجا محمد. إننا مسرورون بوجودك معنا » و « يجب أن يكون لنا بعض هذه الأرض » إشارة إلى مطالبة الايْجا محمد بمنح ولاية أو اثنتين للثلاثة والعشرين مليوناً الذين يُدعَوْن بالزنوج في أمريكا وذلك « كتعويض جزئي عما يفوق القرن من دمهم وعرقهم المجاني الذي بذلوه كأرقاء في تنمية هذه الدولة الغنية التي فيها مازلتم حتى اليوم تظهرون عدم رغبتكم أو نيتكم قبولنا كسواسية لكم » أمام واجهة منصة المتحدثين العريضة عُلقت صورتان بالحجم الطبيعي لإلايْجا محمد فيما وقف شباب ثمار الإسلام بين المسرح والجمهور. الآخرون منهم كانوا يجولون الممرات ويتفحصون الوجوه ومن حين لآخر يطلبون إبراز الهوية من بعض الجالسين، « من أي مسجد أنت، أيها الأخ؟ » عدد آخر منهم كان يفتش شرفة الاستاد الخالية وخلف المسرح وفي الطابق الأرضي والعارضة الخشبية والسقف.

شبح مالكوم إكس كان يخيم على المكان وبدأت فصول الدراما للمسلمين بقيام ابن الايْجا محمد، والاس ديلاني محمد الذي سبق وأيد مالكوم في الماضي، بمواجهة الجمهور وهو يطلب العفو لمالكوم إكس بسبب انشقاقه. تلى ذلك اثنان من أخوة مالكوم إكس، ولفرد وفلبرت، وكل منهما منستر مسلم، فحثا الناس على الاتحاد خلف الايْجا محمد. قال منستر ولفرد إكس من مسجد ديترويت «سيكون من الجهل أن نشوش على عقولنا ونستمر في الجدل والصراع بين أنفسنا وننسى من هو عدونا الحقيقي.» أما منستر فلبرت إكس من مسجد لانسنج فقال: « مالكوم كان أخي في الدم ويصغرني مباشرة..، صدمت. ليس هناك من رجل يحب أن يرى أخاه محطما لكنني كنت أدرك أنه سائر في طريق خطير متهور. حاولت أن أثنيه عن ذلك وعندما كان حيا حاولت أن أبقيه حيا ولكنه الآن قد مات وليس هنالك من شيء أستطيع فعله تجاه ذلك » أشار منستر فلبرت إكس إلى الايْجا محمد الجالس ثم أعلن « سأتبعه حيثما يقودني » — ثم قدم للمستمعين زعيم المسلمين السود ليلقي حديثه.

لم يكن يظهر للمستمعين من الايْجا محمد إلا رأسه فوق الحائط البشري الذي كونه شباب ثمار الإسلام بوجوههم الصارمة ومن بينهم كاسياس كلاي. الأهلة والشموس والقمر والنجوم وشت طريوش الايْجا محمد الصغير بالذهب. قال الايْجا

محمد: « لزمن طويل وقف مالكوم في هذه المنصة التي أقف عليها الآن. الرب نفسه كان يحمي مالكوم... لمدة عام كامل أُعطى مالكوم حريته، سافر إلى كل مكان – إلى آسيا، أوروبا، وأفريقيا وحتى إلى مكة محاولا خلق أعداء لي. عاد ليعظنا أننا لا ينبغي أن نكره عدونا... حضر إلى هنا قبل عدة أسابيع ليرميني بالكراهية ويرشقني بالطين، فعل كل ما بدا له ليسيء إليَّ. لم نرد أن نقتل مالكوم ولم نحاول قتله. أنهم يعرفون أنني لم أؤذيه. يعلمون أنني أحببته. لكن تعاليمه السخيفة جلبت عليه نهايته ».

عندما ينفعل محمد عاطفيا ويرهق جسده كان يبدأ في السعال. « على مهلك! على رسلك! » ترجاه جمهوره لكنه استمر « لا يحق له أن يأباني. كان نجما فهوى!... إنهم يعلمون أنني لم أحاول إيذاءه لكنه حاول أن يشن حربا عليَّ ؟ » قال أن مالكوم كان سيُمنح « أعظم جنازة على الإطلاق » إذا بقي مع المسلمين ومات موتا طبيعيا، « بدلا من ذلك نقف أمام قبر منافق! ... مالكوم! من كان يقود؟ إلى ماذا كان يدعو؟ جانبه الصواب! لم نرد قتل مالكوم! تعاليمه السخيفة كانت ستقوده إلى نهايته! لن أدع المعتوهين يحطمون الأشياء الجميلة التي منحها الله لي ولكم!. »

استمر الإيْجا محمد يتحدث لمدة ساعة ونصف بالرغم من وهنه البدني وتحدى أيا ممن يفكر في اغتياله، « من يريد أن يزهق روح الإيْجا محمد سيحل عليه الوبال. القرآن المعظم يدعونا ألا نبدأ بالعدوان بل أن ندافع عن أنفسنا. سنحارب! » كان الوقت قد وصل منتصف ما بعد الظهر حينما عاد الإيْجا محمد إلى مقعده وثلاثة آلاف مسلم أسود ما بين رجل وامرأة وطفل يهتفون « نعم، سيدي! أحسنت!... كل الثناء لمحمد! ».

في دار حانوتي الوحدة في هارلم بنيويورك وعند منتصف ما بعد الظهر، توقف فجأة مرور الجماهير لمعاينة جثمان الفقيد بوصول جماعة مكونة من حوالي اثني عشر شخصا على رأسهم شخص متقدم في السن يرتدي عباءة داكنة اللون ويضع عمامة بيضاء على رأسه ويحمل في يده عصاً طويلة مقبضها في شكل الرقم سبعة بينما لحيته البيضاء تتدلى فوق صدره. ازدحم الصحفيون حوله في محاولة لالتقاط حديث منه فرد عليهم رجل آخر من الجماعة قائلا :« اللسان الصامت لا يخون صاحبه » ذلك الرجل المتقدم في السن كان الشيخ أحمد حسون، سوداني الجنسية وعضو في جماعة سنية، علم لمدة خمسة وثلاثين عاما بمكة المكرمة حين قابل مالكوم إكس هناك ثم أتى إلى الولايات المتحدة بعد ذلك بفترة وجيزة ليصبح مرشدا روحيا لمالكوم إكس وليعلم في مؤسسة المسجد الإسلامي.

جهز الشيخ حسون الجثمان للدفن طبقا للتعاليم الإسلامية. أزاح اللبس الغربي

الذي أُدخل فيه الجثمان ثم غسل الجثمان بعطر مقدس خاص وبعد ذلك لفه في قطع القماش السبع البيضاء التقليدية والتي تسمى كفنا بحيث لم يظهر منه إلا الوجه بشاربه الأحمر ولحيته. اصطف المعزون الذين أتوا مع الشيخ حسون في صف خلف النعش وقرأ الشيخ وهو يقودهم آيات من القرآن ثم بعد ذلك استدار مخاطبا مندوب الحانوتي :« الجثمان جاهز للدفن » بعد ذلك بفترة وجيزة غادر الشيخ وبطانته المكان واستأنف الجمهور معاينة النعش وعند انتشار الخبر عاد بعض من عاينه قبلا ليقف في صف طويل بطيء منتظراً فرصته ليلقي نظرة على زي الدفن عند المسلمين.

كان الوقت متأخرا بعد ظهر الجمعة حينما انضممت إلى الصف البطيء وأنا أفكر في ذلك المالكوم الذي عملت معه عن قرب لمدة عامين ورجال الشرطة في زيهم الأزرق يقفون في نقاط متقاربة وهم يراقبوننا ونحن نتهادى خلال التحصينات الخشبية البنية اللون التي أقامتها الشرطة. في الجانب الأخر من الشارع كان عدة رجال ينظرون إلى الصف من خلف شباك جانبي كبير في محل « النجم المنعزل للحلاقة لصاحبه ادي جونز ومديره وليام أش » مع الشرطة كان بعض الصحافيين يتبادلون الحديث لتزجية الوقت. ثم وجدنا أنفسنا داخل المصلى الكبير الساكن ذي الضوء الخافت والهواء العليل . على جانبي النعش البرونزي الكبير الأنيق وقف رجلا شرطة داكنا اللون ضخام الجثة ينظران أمامهما طيلة الوقت ولا ينبسان ببنت شفة لكنهما يحركان شفاههما عند تلكؤ أحد الناظرين. في دقائق وصلت مكان النعش وفوق الغطاء الزجاجي لمحت القماش الأبيض الناعم الذي يلف الصدر ويرتفع مثل الحجاب حول الوجه الذي حاولت التركيز عليه لأطول مدة ممكنة. كل ما استطعت التفكير فيه كان حقا أنه هو - مالكوم إكس. « تحرك!» ، ناداني رجل الشرطة بصوت هادئ . بدا لي مالكوم - ميتا ومشمعا.أومأ رجل الشرطة إلى خصره فقلت :« حسنا ،وداعا » وتحركت إلى الخارج.

ألقى النظرة الأخيرة على الجثمان في حالته تلك اثنان وعشرون ألفا عندما أوقفت المعاينة النهائية في الحادية عشرة ذات المساء. بهدوء وفيما بين منتصف الليل والفجر أحاطت اثنتا عشرة عربة شرطة بعربة الموتى التي قطعت عشرين مربعًا حتى معبد الإيمان. حمل النعش البرونزي للداخل ووضع على منبر، مكسياً بمخمل أحمر غامق أمام المذبح ثم رفع عنه الغطاء. ابتعدت عربة الموتى ووقف رجال الشرطة في يقظة داخل وخارج معبد الإيمان – الجو في الخارج كان بارداً جدًا.

عند السادسة صباحاً بدأ الناس يصطفون في الطرف الشرقي من شارع أمستردام وما أن بلغت التاسعة صباحا حتى كان عدد يقدر بستة ألاف شخص قد تجمع حول الشوارع المجاورة وخلف تحصينات الشرطة والوجوه من كل نافذة في الشقق في المباني والشوارع المجاورة ووقف بعضهم يرتجف من البرد أمام مخارج الطريق. أقفلت

الشرطة الطريق أمام حركة السيارات ماعدا سيارات الشرطة وسيارات الإعلام والصحافة فيما بين الجادة ١٤٥ والجادة ١٤٩ . كان هنالك المئات من رجال الشرطة بعضهم على أسطح المنازل في المباني المجاورة. وسط الجماهير كان الإعلاميون بمكبراتهم الصوتية وآلات التسجيل ومفكراتهم. « لقد كان رجلاً ساحراً ، ساحراً بدرجة ملحوظة ولذلك حضرت أنا إلى هنا »، ذلك ما قالته فتاة بيضاء في منتصف العشرينات لأحد صحفيي **النيويورك تايمز** . وامرأة زنجية قالت « لقد حضرت لأقدم احترامي لأعظم رجل أسود في القرن العشرين . أنه رجل أسود ولا تقل ملونا. » امرأة أخرى وهي تلاحظ الخوذات الحديدية على رؤوس رجال شبكة تلفازية داخل عربة قالت وهي تضحك للسائق « أتستعد للصيف القادم؟ »

عندما فتحت أبواب معبد الإيمان في التاسعة وعشرين دقيقة دخلت فرقة من أعضاء منظمة الوحدة الأفرو أمريكية أولا وفي مدى ربع الساعة التالية أجلسوا ستمائة ممن حجزوا مقاعد مقدماً وتجمع خمسون صحفيًا ومصوراً تحت الصور الجدارية الدينية خلف المذبح ووقف بعضهم على مقاعدهم حتى يستطيعوا الرؤيا. أحد المهندسين الزنوج كان يشرف على آلات التسجيل الموضوعة ما بين المذبح والنعش الذي كان يحرسه عشرة رجال من الشرطة الزنوج في زيهم الرسمي وبينهم شرطيتان. كما جلس شرطيان بالملابس المدنية على جانبي الأخت بتي التي وضعت حجابا ثقيلا على وجهها وهي تجلس في الصف الثاني. غطاء النعش المرفوع حجب صندوق المعبد النحاسي والشمعدان إذ أن رئيس البعثة الإسلامية في أمريكا الحاج داود أحمد فيصل في بروكلين أشار عليهم بأن وضع أي شيء يوحي بالمسيحية أثناء المراسيم سيجعل من الميت كافراً. عارض الشيخ أيضا عرض الجثمان على الجماهير قائلا: « الموت موضوع خاص بين الميت وربه » .

قبل أن تبدأ المراسم أحضر شباب منظمة الوحدة الأفرو أمريكية من بين منظمي المناسبة إكليلا من الزهر مساحته اثنين في خمسة عليه الهلال والنجم بزهور القرنفل الأبيض على خلفية من زهر القرنفل الأحمر.

بدأ أوسي ديفيز وزوجته روبي دي التأبين بقراءة رسائل وبرقات التعزية التي وصلت من كل واحدة بين منظمات الحقوق المدنية، من أفراد مثل دكتور مارتن لوثر كنج، من منظمات وحكومات خارجية مثل الجمعية الأفريقية البإكستانية الهند -غربية بكلية لندن للاقتصاد -جامعة لندن، المؤتمر الأفريقي لجنوب أفريقيا، السفير النيجيري من لاجوس، رئيس جمهورية غانا الدكتور كوامي نكروما الذي أبرق « موت مالكوم إكس لن يضيع سدى ».

بعد ذلك وقف عمر عثمان ممثلاً مركز الإسلام لسويسرا والولايات المتحدة وقال:

لقد عرفنا الأخ مالكوم كأخ لنا في الدم خاصة بعد أن حج إلى مكة في العام الماضي. أكثر ما يطمح فيه المسلم هو أن يموت على أرض المعركة وليس على فراشه » توقف قليلا حتى ينتهي التصفيق :« من يموت على أرض المعركة ليس بميت ، بل حي!. » ارتفع التصفيق والهتاف « حق لحق! » بعد ذلك علق عمر عثمان على حديث مدير مكتب المعلومات الأمريكي ،كارل راون، الذي ألقاه في واشنطن عن ردة فعل الصحافة الأجنبية لاغتيال الفقيد وعندها سمع صوت الهسهسة استهجانا لقول راون.

مرة ثانية وقف الفنان المسرحي أوسي ديفيز ثم ألقى بصوته العميق تأبينا لمالكوم إكس جعل زنوج هارلم تجل أوسي ديفيز أكثر من ذي قبل:

« هنا في هذه الساعة الأخيرة ، في هذا المكان الهادئ تقف هارلم لتودع واحداً من أكثر آمالها إشراقا - انطفأ الآن، وذهب عنا إلى الأبد...

« كثيرون سيتساءلون ماذا تجد هارلم لتكرم في هذا القبطان الشاب، الجسور العاصف، المثير للجدل - وسنبتسم.سيقولون أنه كان يعمه في الحقد - متعصب، عنصري - لا يجلب إلا الوبال على الهدف الذي من أجله تناضلون! وسنجيب ونقول لكل منهم : هل أبدا تحدثت مع الأخ مالكوم؟ هل لمسته أبدا؟ أو رأيته وهو يبتسم؟ هل أصغيت إليه مرة؟ هل أتى فعلا دنيئا أبداً وهل ارتبط اسمه قط بحادث عنف أو شغب معين من أي نوع؟ لأنك أن فعلت فستعرفه على حقيقته وإذا عرفته على حقيقته ستعرف لماذا ينبغي علينا أن نكرمه: مالكوم كان رجولتنا ، رجولتنا السوداء الحية! ذلك كان معنى مالكوم لقومه وبتكريمه نكرم خير ما في أنفسنا..وحينها سنعرفه على ما كان وما هو كائن الآن - أمير - أميرنا الأسود الوضاء ! -الذي لم يتردد في الموت لحظة لأنه أحبنا بشدة ».

أُلقيت عدة خطب قصيرة أخرى ثم وقفت الأسرة وأعضاء منظمة الوحدة الأفرو أمريكية وبعض المسلمين الآخرين ومروا في صف من أمام النعش ليلقوا النظرة الأخيرة على الجثمان وأخيراً قاد اثنان من رجال الشرطة الأخت بتي لتلقي النظرة الأخيرة على زوجها . مالت نحو النعش وقبلت الزجاج ثم انهمرت دموعها. حتى تلك اللحظة لم يسمع صوت نحيب لكن عبرات الأخت بتي فجرت الدموع والنحيب في مآقي النساء الأخريات.

استغرقت المراسم في المعبد أكثر قليلا من ساعة حينما قرأ الحاج هشام جابر من مدينة اليزابث بولاية نيوجرسي، الدعوات والصلوات التي تتلى عادة أمام نعش كل مسلم. وعندما وصل جملة « الله أكبر » وضع كل المسلمين في الجمهور أيديهم مرفوعة على جوانب وجوههم.

تحركت قافلة من عدة عربات، ثلاث عربات للأسرة مع عربة الموتى، ثماني عشرة

عربة من المعزين، اثنتا عشرة عربة شرطة، ست عربات صحافة وإعلام وتبع كل ذلك خمسون عربة أخرى سارت الثمانية عشر ميلاً خارجة من مانهاتن وعلى طريق نيويورك السريع ثم من المنفذ رقم سبعة لتصل إلى مقبرة فيرنكليف في آرصلي بولاية نيويورك وعلى جانبي كل الطريق كان الزنوج يرفعون قبعاتهم ويضعونها فوق قلوبهم كاحترام أخير. وعند كل جسر في مقاطعة مانهاتن كانت عربات الشرطة تراقب وفي مقاطعة وستشستر وضعت الشرطة دوريات مراقبة على طول الطريق إلى المقابر.

هنالك وفوق النعش قرأ الشيخ الحاج هشام جابر آخر دعواته وصلواته المسلمة ثم أنزل النعش في القبر ورأسه متوجه نحو الشرق على حسب التقاليد الإسلامية وصلى المسلمون من بين المعزين بالقرب من القبر. وعندما غادرت الأسرة مكان القبر رفض أتباع مالكوم إكس أن يتركوا الحفارين البيض يهيلون التراب على قبر مالكوم فوقف الأخيرون بعيداً وتقدم بدلاً منهم سبعة من أعضاء منظمة الوحدة الأفرو أمريكية وبدأوا يهيلون التراب بأيديهم في البداية ثم أتوهم بجرافات وبدأوا يملؤون القبر ثم يواسونه.

خيم الليل على ثرى الحاج مالك الشباز، الذي كان، يدعى مالكوم إكس والذي عرف قبلاً بمالكوم لتل و« احمر ديترويت »، و« الشيطان » وابن البلد وأسماء أخرى — والذي دفن مسلما. كتبت صحيفة **النيويورك تايمز** « طبقا للقرآن فإن أجساد الموتى تبقى في قبورها حتى اليوم الأخر، يوم القيامة. في ذلك اليوم تفتح السماء أبوابها وتزلزل الأرض زلزالها ويخرج الناس من قبورهم لحساب الله.

« المرضي عنهم - الذين يخافون الله، المتواضعون الأبرار الذين قاسوا وظلموا وجاهدوا في سبيل إعلاء كلمة الله لهم جنات الفردوس.

« هنالك وطبقا لتعاليم محمد النبي العربي ﷺ يعيشون وسط أنهار جارية ويتكئون على نضد من حرير وحولهم حور عين وزوجات طاهرات.

« المغضوب عليهم، الطماعون، الشريرون الذين يتبعون إلهاً آخر يرسلون إلى جحيم أبدي يسقون سعيرا من حميم، الموت الذي منه تهربون ملاحقكم، يقول القرآن ، ثم ترسلون للذي يعلم السر والجهر لينبئكم بما كنتم تفعلون ».

بعد أن وقع على عقد هذا الكتاب حدق مالكوم في وجهي ثم قال: « إنني أريد كاتبا وليس مفسراً » لقد بذلت غاية جهدي أن أكون راوية محايداً. لكنه كان أكثر شخصية كهربائية قابلت في حياتي على الإطلاق وما زلت أجد صعوبة في تخيله ميتا. ما زلت أحس وكأنه ذهب إلى فصل آخر سيكتبه المؤرخون.

نيويورك ١٩٦٥